
الأذكار عقب الصلاة
التوحيد
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٦٩ السنة الثامنة والأربعون- جمادى الأولى ١٤٤٠هـ
الثمن ٣ جنيهات
الإسلام يشجع على العمل ويحل مشكلة الفقر والبطالة
شبهات استدل بها المبيحون للتوسل الممنوع
أساسيات محاسبة الزكاة
سقوط غرناطة



في هذا العدد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد، على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.
٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة، باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو



شبهات استدل بها المبيحون للتوسل الممنوع

الرئيس العام
د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فقد بيَّنت في مقالين سابقين أنواع التوسل المشروع والممنوع، ومن باب الفائدة أذكر في هذا اللقاء أهم الشبه التي استدل بها المبيحون للتوسل الممنوع، وأتناولها بالرد والبيان، فأقول-وأستمد من الله العون والتوفيق-:

الشبهة الأولى: حديث استسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب:

وهو حديث صحيح، وقبل أن أبيِّن ذلك أقول: إن المبيحين للتوسل الممنوع استدلوا على جوازه بأحاديث صحيحة كالحديث الذي معنا، ولكنْ لا حجةَ لهم فيه، بل هو حجةٌ عليهم، كما يتَّضح ذلك-إن شاء الله-، كما استدلوا بأحاديث موضوعة، وهذه يحرم إيرادها إلا مع بيان حكمها، أو بأحاديث ضعيفة، وهذه لا تقوم بها حُجَّة في مسائل الاعتقاد.

أما عن حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنه فهو حديث صحيح رواه البخاري في مواضع، وغيره عن أنس رضي الله عنه: «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعَبَّاس بن عبد المُطَّلب، فقال: اللَّهُمَّ إنا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إليكَ بنَبيِّنا صلى الله عليه وسلم فَتَسْقينا، وإنا نَتَوَسَّلُ إليكَ بعَمِّ نبيِّنا فاسْقِنا، قال: فَيُسْقَوْنَ». (رواه البخاري: ١٠١٠).

وهذا الحديث لا يدل على جواز التوسل بذوات الأنبياء أو بجاههم؛ لأنه لو كان جائزًا لما عدل عمر ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم عن التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم، أو جاهه إلى العباس بن عبد المطلب؛ لأن جاه النبي صلى الله عليه وسلم أعظم، ولأن جاهه صلى الله عليه وسلم لا ينقص بعد موته، ولكن لما كان هذا غير ممكن بعد وفاته ذهبوا إلى العباس بن عبد المطلب.

وهذا يدل أيضًا على أنهم كانوا يتوسلون بدعائه عليه الصلاة والسلام، كما في حديث

أنس الذي ذكرته في الحلقة السابقة أن رجلاً دخل يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا، قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا»... (البخاري: ١٠١٣).

فدلَّ هذا على أنهم أرادوا من التوسل بالعباس التوسل بدعائه، وقد بيَّن الزبير بن بكار صفة ما دعا به العباس رضي الله عنه؛ فقد أخرج بإسناده أن العباس لما استسقى به عمر قال: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَمْ يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ نَبِيِّكَ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ فَاسْقِنَا الْغَيْثَ. فَأَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ حَتَّى أَخْصَبَتِ الْأَرْضُ، وَعَاشَ النَّاسُ». (فتح الباري ٢/٤٩٧).

وعليه فيصبح معنى قول عمر رضي الله عنه يقول فيه: «فلو كان توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته كتوسلهم به في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما؟ ونعدل عن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟ فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد عُلِمَ أنهم في حياته توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره، عُلِمَ أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسَّل به لا بذاته». (مجموع الفتاوى ١/٢٨٤).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: «لو كان توسل عمر إنما هو بذات العباس أو جاهه عند الله تعالى، لما ترك التوسل به صلى الله عليه وسلم- بهذا المعنى-؛ لأن هذا ممكن لو كان مشروعًا، فعدول عمر عن هذا إلى التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه أكبر دليل على أن عمر والصحابة الذين كانوا معه كانوا لا يرون التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا جرى عمل السلف من بعدهم». (التوسل وأنوعه وأحكامه ص٧٠).

الشبهة الثانية: حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه:

وفيه: أنَّ رجلًا ضريرًا أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: ادعُ اللَّه لي أن يعافيَني، قالَ: فإن شئتَ أخَّرتُ ذلكَ فَهوَ خيرٌ لَكَ، وإن شئتَ دعوتُ اللَّه، قال: فادعُهُ قالَ: فأمرَهُ أن يتوضَّأَ فيُحسنَ الوضوءَ، ويصلِّيَ رَكْعتينِ ويدعوَ بِهَذا الدُّعاءِ: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بنبيِّكَ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم نبيِّ الرَّحمةِ، يا محمَّدُ إنِّي أتوجَّهُ بكَ إلى ربِّي في حاجَتي هذهِ فتَقضيها لي، اللَّهمَّ شفِّعهُ فيَّ وشفِّعني في نَفسي». قال: فكان يقول هذا مرارًا، ثم قال بعد: أحسب أن فيها أن تشفعني فيه، قال: ففعل الرجل، فبرأ. (أخرجه أحمد في مسنده ٤/١٣٨، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/١٨٢، كما رواه غيرهما).

وقد استدل بهذا الحديث المجوِّزون للتوسل بالذات والجاه، ولا حُجَّةَ لهم فيه للأمور التالية:

أولاً: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم طالبًا منه أن يدعو الله له، وذلك واضحٌ وصريحٌ في قوله: «ادعُ الله أن يعافيني»، فهو إذن توسُّل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، لا بذاته ولو قصد التوسل بالذات لجلس في بيته وتوسل بالذات، والنبي صلى الله عليه وسلم خيَّره بين الصبر، أو الدعاء، فأصرَّ على الدعاء، وقد وعده صلى الله عليه وسلم بالدعاء مع توجيهه إلى عمل صالح، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه.

قال العلامة الجزائري الشيخ مبارك الميلي عند كلامه على هذا الحديث: «والتوجيه بالنبي صلى الله عليه وسلم معناه: التوجيه بدعائه، دلَّ على هذا المحذوف اختيار الأعمى لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تخييره له بينه وبين الصبر، وأمره للأعمى بالدعاء بعد دعائه صلى الله عليه وسلم؛ نظير ما أخرجه

مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله مرافقته في الجنة: "أعني على نفسك بكثرة السجود"، فتصح لهم بعبادتي: الصلاة والدعاء، لمناسبتهما للمطلوب». (انظر كتابه الشرك، ص٢٠٥).

ثانيًا: أن في الدعاء الذي علَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه أن يقول: «اللهم فشفعه فيَّ». وهذا لا يمكن حمله على التوسل بالذات؛ لأن معناه: اللهم اقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم فيَّ، أي: اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة تأتي في اللغة بمعنى: الدعاء، وقد ذكر ذلك ابن منظور عن المبرد وثعلب. انظر: لسان العرب ١٨٤/٨).

قال ابن تيمية: "وسؤال الأمة له الوسيلة هو دعاء له وهو معنى الشفاعة، ولهذا كان الجزاء من جنس العمل، فمن صلى عليه، صلَّى عليه الله، ومن سأل الله له الوسيلة المتضمنة لشفاعته شفع له صلى الله عليه وسلم كذلك الأعمى منه الشفاعة، فأمره أن يدعو الله بقبول هذه الشفاعة، وهو كالشفاعة في الشفاعة، فلهذا قال: اللهم فشفعه في وشفعني فيه، وذلك أن قبول دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في هذا هو من كرامة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا عُدَّ من آياته ودلائل نبوته». (مجموع الفتاوى ٢٧٦/١).

وأيضًا مما علَّمه النبي صلى الله عليه وسلم للأعمى أن يقول: «وشفعني فيه» أي: اقبل شفاعتي، أي: دعائي في أن تقبل شفاعته صلى الله عليه وسلم في أن ترد عليَّ بصري.

ثالثًا: هذا التوسل مركَّب من عدة أمور، وقد تعذَّر بعضها اليوم؛ لأن الرجل الأعمى أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه الدعاء والشفاعة، وهو حيٌّ حاضر، وعليه فلا يجوز اليوم لأحد أن يفعل ذلك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد التحق بالرفيق الأعلى، ولا مانع من أن يتوسل العبد بطاعة وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن، قال الشيخ أبو بكر الجزائري: «ولا بأس أن يفعل المسلم ما يمكنه فعله من هذه الوسيلة ويتوسل به إلى الله تعالى وهو: أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بإيماني وحبي لنبيك نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تقضي حاجتي، ويسمِّي حاجته، فإنه يُرجَى أن يَستجيب الله تعالى له». (عقيدة المؤمن ص٨٩).

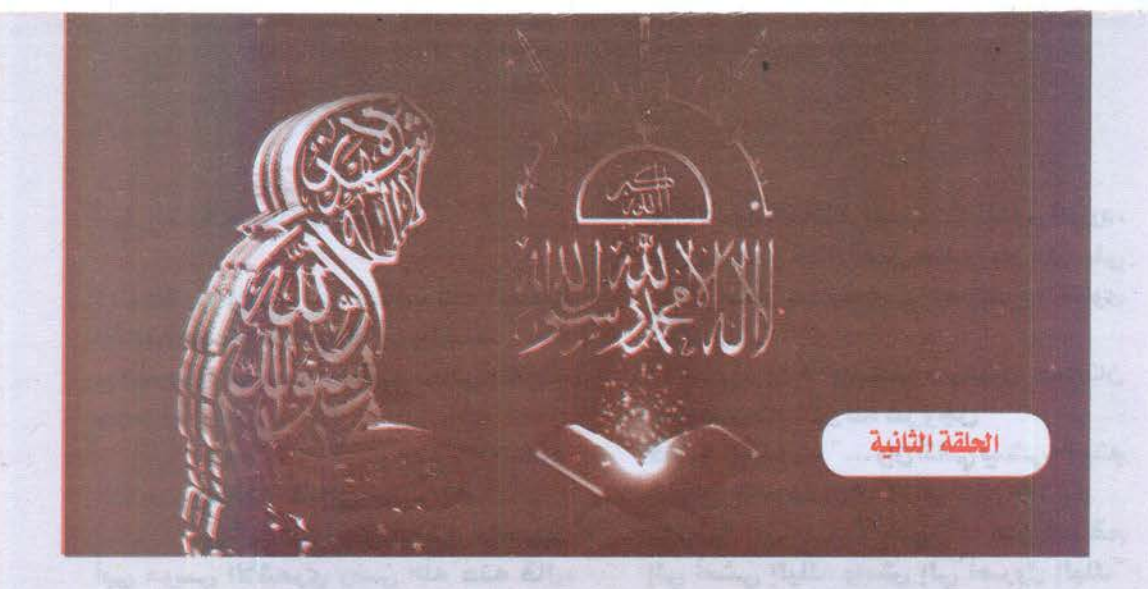
الشبهة الثالثة: استدلوا بأحاديث ضعيفة لا تدل على المراد:

والأحاديث الضعيفة والموضوعة في هذا البابا كثيرة، ويطول الكلام حولها هنا، لذلك سأكتفي ببعض النماذج كحديث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم». وهذا كلام باطل لا أصل في كتب السنة، مع أن جاه النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته عظيمة، إلا أن هذا ليس من المشروع ولم يفعله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، مع معرفتهم بقدر نبيهم صلى الله عليه وسلم، قال ابن أبي العز الحنفي: «وتارة يقول الداعي: بجاه فلان عندك، ومراده: إن فلانًا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعاءنا، وهذا أيضًا محذوف، فإنه لو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلون بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه. (شرح الطحاوية ٢٩٨/١).

كما استدلوا بحديث عمر بن الخطاب مرفوعًا: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي»، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح. وتعقبه الذهبي وقال: موضوع. انظر ٦١٥/٢.

وهو الصواب، وهذا الحديث يخالف أيضًا صريح القرآن الذي ذكر عن آدم أنه قال لربه: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣)، كما جاء في كتاب الله أن الله تاب عليه، ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:٣٧).

والحمد لله رب العالمين.



حسن الظن برب العالمين وجزاء الموحدين

إعداد: معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكَرني، فإن ذكَرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكَرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرْولةً" (صحيح البخاري: ٧٤٠٥).

ذكرنا في المقال السابق جملة من الفوائد المتعلقة بهذا الحديث الجليل، وفي هذا العدد نكمل ما بدأناه، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

خامسًا: ثمرات القرب من الله وبركاته على المسلم:

في الحديث بيان سعة فضل الله وعظيم كرمه على عبده المؤمن، وأن العبد كلما قرب من ربه جل وعلا ازداد الله منه قربًا وحبًّا، وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه قريب من عبده إذا ناداه ودعاه فقال: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة: ١٨٦)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) رواه مسلم، وفي قوله تعالى في الحديث: (وإن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرْولةً) ما يدل على هذا المعنى العظيم، وهو أن عطاء الله وثوابه أكثر وأفضل وأعظم من عمل العبد وكدحه، ولذلك فإنه يعطي العبد أكثر مما فعله من أجله، فسبحانه وتعالى ما أعظم كرمه، وما

أجَلَّ إحسانه، وما أوسع جوده

سادسًا: مسائل عقدية مهمة مستفادة من الحديث:

(١) القرب والدُّنو من صفات الله الفعلية الثابتة له سبحانه بالكتاب والسنة.

و(القريب) اسم من أسمائه تعالى؛ لقوله سبحانه: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة: ١٨٦)، ولقوله تعالى: «فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ» (هود: ٦١)، ولحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس! أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، ولكن تدعون سميعًا قريبًا، إنَّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"(مسلم ٦٧٠٤).

وأهل السنة والجماعة من السلف وأهل الحديث يعتقدون أنَّ الله عزَّ وجلَّ قريب من عباده حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، وهو مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وأنه يتقرَّب إليهم حقيقة، ويدنو منهم حقيقة، ولكنهم لا يفسرون كلَّ قربٍ وَرَدَ لفظه في القرآن أو السنة بالقرب الحقيقي؛ فقد يكون القرب قرب الملائكة، وذلك حسب سياق اللفظ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما دُنُوُّهُ وتقرُّبه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر" (مجموع الفتاوى ٤٦٦/٥).

ويقول في موضع آخر: (... ولا يلزم من جواز القرب عليه أنْ يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة، وينظر في النص الوارد، فإن دل على هذا؛ حُمل عليه، وإن دل على هذا؛ حُمل عليه....) (مجموع الفتاوى ١٤/٦).

(٢) الهرولة والمشي صفتان فعليتان خبريَّتان ثابتتان لله عزَّ وجلَّ

كما في الحديث: "... وإن أتاني يمشي؛ أتيته هَرْوَلَةً" (البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥).

وكما في الحديث الآخر: "يا ابن آدم قم إلي أمشي إليك، وامش إلي أهرول إليك" (صحيح الجامع ٤٣٤٠).

قال أبو إسماعيل الهروي: (باب الهَرْوَلَة لله عزَّ وجلَّ) (الأربعون في دلائل التوحيد ص٧٩). ثم أورد الحديث.

وقال أبو موسى المديني في الحديث عن الله تبارك وتعالى: "من أتاني يمشي؛ أتيته هَرْوَلَة: وهي مشي سريع، بين المشي والعدو" (غريب الحديث ٢٦٨٤).

وهذا إثبات منهما رحمهما الله للصِّفة على حقيقتها وهي المشي السريع.

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي: (وقد أجمعنا على أن الحركة، والنزول، والمشي، والهرولة، والاستواء على العرش، وإلى السماء قديم، والرضى، والفرح، والغضب، والحب، والمقت كلها أفعال في الذات للذات، وهي قديمة) (نقض الدارمي على المريسي ٥٦١/١).

وقال ابن القيم: (قال تعالى في آلهة المشركين المعطِّلين: « أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ » (الأعراف: ١٩٥)، فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلًا على عدم إلهية من عُدِمَتْ فيه هذه الصفات، فالبطش، والمشي من أنواع الأفعال، والسمع، والبصر من أنواع

الصفات، وقد وصف نفسه سبحانه بضد صفة أربابهم وبضد ما وصفه به المعطلة والجهمية) (الصواعق المرسلة ٣/٣١٥).

وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز: (... تقربه إلى عباده العابدين له والمسارعين لطاعته، وتقربه إليهم لا يشابه تقربهم، وليس قربه منهم كقربهم منه، وليس مشيه كمشيهم، ولا هرولته كهرولتهم، بل هو شيء يليق بالله لا يشابه فيه خلقه سبحانه وتعالى كسائر الصفات، فهو أعلم بالصفات وأعلم بكيفيتها عزَّ وجلَّ.. المعنى يجب إثباته لله من التقرب، والمشي والهرولة، يجب إثباته لله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، من غير أن يشابه خلقه في شيء من ذلك) (فتاوى نور على الدرب ١/٦٧).

وقال الشيخ ابن عثيمين: (صفة "الهَرْوَلَة" ثابتة لله تعالى؛ كما في الحديث، وهذه "الهَرْوَلَةُ" صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل؛ لأنه أخبر بها عن نفسه، فوجب علينا قبولها بدون تكييف، لأنَّ التكييف قول على الله بغير علم، وهو حرام، وبدون تمثيل؛ لأنَّ الله يقول: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)). (الجواب المختار ص٢٤).

وقال: (من المعلوم أن السلف يؤمنون بأن الله تعالى يأتي إتيانًا حقيقيًا للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به، كما دلَّ على ذلك كتاب الله تعالى، وليس في هذا الحديث القدسي إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي، فمن أثبت إتيان الله تعالى، حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به. وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال: إنه ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء). (مجموع الفتاوى والرسائل ١/١٨٨).

وقال أيضًا: فما الذي يمنع أن يكون إتيانه هرولة، إذا كنا نؤمن بإتيانه حقيقة، فإذا كان يأتي حقيقة فلابد أن يكون إتيانه على صفة من الصفات، فإذا أخبرنا أنه يأتي هرولة، قلنا: آمنا بالله). (شرح البخاري ٨/٣٧٧).

التحذير من سوء الظن وخطر ذلك على العبد:

وإتمامًا للفائدة اختتم بكلام رائع نافع للإمام ابن القيم رحمه الله يدل على عظيم فقهه وسمو فهمه، وذلك عند تفسير قوله تعالى: «ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ» (الفتح: ٦).

قال-رحمه الله-: «إن أكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم عن ذلك إلا: من عرف الله، وعرف أسماءه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته.

فمن قنط من رحمته، وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن بأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة، يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم بعده أبدًا فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله، وصفاته ونعوته.

فإن حمده وعزته، وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة، والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به.

فمن ظن به ذلك فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته وكماله، ومن

جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويسوى بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أن يترك خلقه سدى، معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل عليهم كتبه؛ بل يتركهم هملاً كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح- الذي عمله خالصًا لوجهه الكريم على امتثال أمره- ويبطله عليه بلا سبب من العبد فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أن له ولدًا أو شريكًا، أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه؛ فيدعونهم، ويحبونهم كحبه، ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه!

ومن ظن به أنه إذا ترك لأجله شيئًا لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل لأجله شيئًا لم يعطه أفضل منه فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرع إليه، وسأله، واستعان به، وتوكل عليه؛ أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.

ومن ظن به أنه يثيبه إذا عصاه بما يثيبه به إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله، وما لا يفعله.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه، وأسخطه، وأوضع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه وليًا، ودعا من دونه ملكًا، أو بشرًا؛ حيًا، أو ميتًا، يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه، ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء، وذلك زيادة في بعده من الله، وفي عذابه.

فأكثر الخلق؛ بل كلهم- إلا من شاء الله- يظنون بالله غير الحق ظن السوء!

فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله؛ ولسان حاله يقول: ظلمني ربي! ومنعني ما أستحقه! ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده!

ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتبًا على القدر وملامة له، واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا؛ فمستقل ومستكثر.

وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك؟!

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة
وإلا فإني لا أخالك ناجيًا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى، وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم؛ فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد؛ الذي له الغنى التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه.

فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كذلك؛ كلها حكمة، ومصلحة، ورحمة، وعدل؛ وأسماؤه كلها حسنى». (بتصرف يسير جدًا)، من كتاب زاد المعاد (٣/٢٠٦-٢١١))

ولله الحمد والمنة وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.



سورة محمد ﷺ

الحلقة الرابعة عشرة والأخيرة

قال تعالى: «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (36) إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (37) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم» (محمد: ٣٦- ٣٨).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

قوى الله تعالى عزائم المؤمنين ونشطهم، ورغبهم في مثابرة عدوهم التي هي سبب نصرهم وعزهم، وصلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة. ثم كشف لهم عن حقيقة الحياة الدنيا التي هي غالبا ما تكون وراء الوهن والخلود إلى الأرض، والتثاقل عن قتال المشركين، فقال تعالى: «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ»:

يقول تعالى محذرًا من إيثار الحياة الدنيا على القتال في سبيل الله:

«إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» فإن فاتتكم بالقتل في سبيل الله فما فاتكم شيء، «فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» (التوبة: ٣٨).

عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ- وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ- فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ» (صحيح مسلم ٢٨٥٨).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (صحيح البخاري ٢٨٩٢).

فلا تتركوا قتال المشركين المحاربين رغبة في الدنيا، وآثروا ما يبقى على ما يفنى.

وهذه الآية كقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» (التوبة: ٣٨).

وقوله تعالى: «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ» يعني: «أنما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» ليس فيها خير، وإنما الخير كله في

أن «تؤمنوا» بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمنوا بالقدر، «تتقوا» الله ربكم بفعل ما به أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، ومن أعظم ما أمركم به الثبات عند اللقاء، كما قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الأنفال: ٤٥)، ومن أعم ما نهاكم عنه الفرار من الزحف، كما قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ » (الأنفال: ١٥)، فإن آمنتم واتقيتم « يُؤْتِكُمْ » الله « أُجُورَكُمْ » كما قال في آية أخرى: « وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ » (آل عمران:١٧٩)، بيّنه سبحانه في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (الحديد: ٢٨).

وقوله تعالى: « وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ » (محمد: ٣٦) لا يَسْأَلُكُمُ الله وَرَسُولُهُ أَمْوَالَكُمْ كلها في الصدقات، إنما يَسْأَلانكُمْ غَيْضًا مِنْ فَيْضٍ، رُبْعَ الْعُشْرِ، فطيبُوا بهَا نفسا، وقروا بها عينا. (معالم التنزيل: ١٦٣/٥).

« إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ » (محمد: ٣٧):

يقول جل ثناؤه: إنْ يَسْأَلْكُمْ رَبُّكُمْ أَمْوَالَكُمْ «فَيُحْفِكُمْ» أي: فَيُجْهِدْكُمْ بالْمَسْأَلَة، وَيُلِحُّ عَلَيْكُمْ بِطَلَبِهَا مِنْكُمْ فَيُلْحِف، «تَبْخَلُوا» بِهَا، وَتَمْنَعُوهَا إِيَّاهُ، ضَنًّا مِنكُمْ بِهَا، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، وَمِنْ ضِيقِ أَنْفُسِكُمْ فَلَمْ يَسْأَلْكُمُوهَا. «وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ» بغضكم وعداوتكم، قَالَ قَتَادَةُ: عَلِمَ اللهُ أَنَّ فِي مَسْأَلَةِ الْأَمْوَالِ خُرُوجَ الْأَضْغَانِ. قال ابن كثير: وَصَدَقَ قَتَادَةُ، فَإِنَّ الْمَالَ مَحْبُوبٌ، وَلَا يُصْرَفُ إِلَّا فِيمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَى الشَّخْصِ مِنْهُ. (انظر جامع البيان ٦٥/٢٦، وتفسير القرآن العظيم: ١٨٢/٤).

وقد حذر الله تعالى من ترك الجهاد حبًا للمال فقال: « قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » (التوبة: ٢٤).

ثم قال تعالى: « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » (محمد: ٢٨).

يقول تعالى: « هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » شيئًا يسيرًا مما رزقكم الله، يعود عليكم نفعه في الدنيا والآخرة، «فمنكم من يبخل» باليسير، فكيف لو سألكم أموالكم كلها؟! « فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ » لأن ما ينفقه لله، في سبيل الله، يجد بره وثوابه عند الله، « يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (الشعراء:٨٨-٨٩)، فوبال البخل وضرره عائد على البخيل نفسه، ولن يضر الله شيئًا، ولذا قال: «....» فإن « لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ » (طه: ٦)، فهو سبحانه الغني، « وَاللَّهُ الْغَنِيُّ » المحتاجون إليه سبحانه في جميع أوقاتكم، وهو يأمركم بالإنفاق لمصلحتكم، فمن يبخل فإنما يعطل مصلحة نفسه ويضرها، ولذا قال تعالى: « وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »(آل عمران:١٨٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ- يَعْنِي

شدقيه- ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ » ثُمَّ تلا «....» الآيَة. (صحيح البخاري ١٤٠٣).

وقد حذّر سبحانه من البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله لقتال أعداء الله فقال: «وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (البقرة:١٩٥):

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَر، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِر، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْد، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ! يُلْقِي بِيدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللهُ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا!. فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا «وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (البقرة:١٩٥)، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ، فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ. (صحيح سنن أبي داود: ٢١٩٣).

وفي ختام السورة يأتي هذا التحذير الشديد اللهجة في كلمة موجزة: «.....»، وهي معطوفة على «....»، وتقدير الكلام: «.....» ولا يلتكم من أعمالكم شيئا » (الحجرات:١٤)، «.....» عن الإيمان والتقوى «.....»، كما قال تعالى: «وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ » (الأنعام:١٣٣)، وقال تعالى: « وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » (يونس:١٣-١٤).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (صحيح مسلم ٢٧٤٢)، فأروا الله من أنفسكم خيرًا، وإياكم أن تعرضوا عن الهدى بعد إذ جاءكم فيذهب الله بكم و«يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم » بل يكونوا خيرًا منكم، يؤمنون بالله ويتقونه، وينفقون في سبيله ويجاهدون، ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (المائدة:٥٤).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا هَذِهِ الآيَةَ: «هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم » (محمد:٣٨). قَالُوا: وَمَنْ يُسْتَبْدَلُ بِنَا؟ قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى مَنْكِبِ سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا وَقَوْمُهُ، هَذَا وَقَوْمُهُ» (صحيح الترمذي: ٣٢٦٠).

اللهم يا ذا الجلال والإكرام استعملنا ولا تستبدلنا.



التطبيق المعاصر للزكاة

أساسيات محاسبة الزكاة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن حساب الزكاة يتم طبقًا لمبادئ وأحكام فقه الزكاة السابق بيانها في الفصل الأول والمستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية، ويتولى حسابها المزكي نفسه بواسطة محاسب لديه معرفة بفقه ومحاسبة الزكاة وهذا أولى وأفضل وأحكم ولا سيما في ظل كبر حجم الأموال والأعمال والمؤسسات والهيئات والشركات المعنية بأمر الزكاة.

وكان يقوم بحساب الزكاة وتجميعها وتوزيعها على مصارفها الشرعية في صدر الدولة الإسلامية موظف يتبع الدولة يسمى: «العامل على الزكاة»، أما في الوقت المعاصر فقد تخصص بعض المحاسبين في مجال محاسبة الزكاة، كما اجتهد العلماء والفقهاء في وضع الإطار العلمي والعملي لعلم المحاسبة وأصبحت تدرس في معظم الجامعات والمعاهد في العالم العربي والإسلامي.

إعداد: د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

ويختص هذا الفصل ببيان: معنى محاسبة الزكاة، وواجبات محاسب الزكاة وبيان مدلول المفاهيم والمصطلحات والأسس المتعلقة بحساب الزكاة، وكذلك الخطوات التنفيذية لحسابها، ويختص هذا الجزء الأخير بوضع دليل حساب الزكوات وفقًا لفقه الزكاة. (د. عصام أبو النصر: « الإطار الفقهي والمحاسبي للزكاة »، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).

ويعتبر هذا الفصل مدخلًا أساسيًا للفصول التالية التي تتعلق بالجوانب التطبيقية لحساب كل نوع من أنواع الأموال والأنشطة حسب الإطار المعاصر للزكاة.

معنى محاسبة الزكاة:

يقصد بمحاسبة الزكاة: الإطار الفكري والعملي الذى يتضمن الأسس المحاسبية والإجراءات التنفيذية التي تتعلق بحصر

وتقويم الأموال والإيرادات التي تجب فيها الزكاة، وكذا قياس مقدارها، وتوزيع حصيلتها علي مصارفها المختلفة في ضوء أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

وبلغة أخري تهتم محاسبة الزكاة بحساب الزكاة وتوزيعها علي مصارفها الشرعية وفقًا لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

وتعتمد محاسبة الزكاة على ركيزتين أساسيتين هما:

(أ) أحكام ومبادئ زكاة المال (فقه الزكاة).

(ب) الأسس المحاسبية لحساب الزكاة.

مهام وصفات محاسب الزكاة:

محاسب الزكاة: هو الشخص المؤهل ذاتيًا وعلميًا وعمليًا لعمليات حساب الزكاة وتوزيعها على مصارفها الشرعية، وتقديم التقارير عنها إلى ولى الأمر وفق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية والأسس المحاسبية المتعارف عليها في مجال الزكاة.

ومن الشروط الواجب توافرها في محاسب الزكاة ما يلى:

١- أن يكون مسلمًا، مكلفًا، بالغًا، صالحًا، تقيًا، ورعًا (القيم الإيمانية).

٢- أن تتوافر فيه صفات الإخلاص، والصدق والأمانة، والكفاية، والعفة، والعزة، (القيم الأخلاقية)

٣- أن يكون عالمًا بكتاب الله، وسنة رسوله، وبفقه الزكاة (الجوانب الفقهية).

٤- أن يكون حاد الذهن، حاضر الحس، جيد الحدس، قادرًا على اتخاذ القرارات (الجوانب الإدارية).

٥ أن يكون عالمًا بأسس ومعايير حساب الزكاة (الجوانب المحاسبية).

٦ أن يكون لديه خبرة مكتسبة في العمل في مجالات الزكاة.

ويتولى محاسب الزكاة (العامل على الزكاة) في ظل التطبيق المعاصر المهام الآتية:

- حصر وتحديد الخاضعين للزكاة.
- حصر وتحديد مستحقي الزكاة.
- حساب مقدار الزكاة حسب الأحكام الفقهية.
- توزيع الزكاة على مصارفها الشرعية.
- تقديم تقارير الزكاة إلى ولى الأمر.

مفاهيم ومصطلحات محاسبة الزكاة:

هناك بعض المفاهيم الزكوية يجب معرفة معناها حتى يسهل حساب الزكاة، منها علي سبيل المثال ما يلي:

- الموجودات الزكوية: يقصد بها الأموال التي يتوافر فيها شروط الخضوع للزكاة حسب نوع المال، ويطلق عليها أحيانًا اسم: الأموال الزكوية، أو المال الخاضع للزكاة.
- المطلوبات الحالة: يقصد بها الالتزامات علي الأموال الخاضعة للزكاة والتي يجب أن تخصم منها، حتى يكون المال الخاضع للزكاة مملوكًا ملكية تامة للمزكي وخاليًا من الدين الحالّ.
- وعاء الزكاة: يمثل صافي الأموال الخاضعة للزكاة، ويمثل الأموال الزكوية مطروحًا منها المطلوبات، أو الالتزامات الحالّة.
- نِصَاب الزكاة: يمثل القدر من المال الذى إذا وصله وعاء الزكاة خضعت الأموال للزكاة، بمعني إذا كان الوعاء أقل من النصاب لا تجب فيه الزكاة.
- سعر الزكاة: النسبة المئوية من المال المخصص للزكاة، ويختلف سعر الزكاة من زكاة إلى زكاة علي النحو الذي سوف نوضحه تفصيلًا فيما بعد.
- مقدار الزكاة: القدر من المال المحسوب كزكاة، ويُحسب عن طريق ضرب وعاء الزكاة متى وصل النصاب في سعر الزكاة.
- قائمة الزكاة: هي بيان محاسبي يوضح مقدار الزكاة المستحقة عند ميعاد استخدامها.

أسس حساب الزكاة:

يحكم حساب الزكاة مجموعة من الأسس

المستنبطة من أحكام ومبادئ فقه الزكاة والسابق بيانها، ومن أهمها ما يلي:

١- أساس السنوية: تحسب الزكاة علي المال إذا مرَّ عليه اثنا عشر شهرًا عربيًا، وتبدأ السنة الزكوية، منذ وصول المال النصاب، ما عدا زكاة الزروع والثمار حيث تحسب يوم الحصاد، وزكاة الركاز حيث تُحَصَّل الزكاة وقت الحصول علي المعادن، وليس هناك مخالفة شرعية أن تحسب الزكاة علي أساس السنة الميلادية مع الأخذ في الاعتبار فروق سعر الزكاة، والأَوْلى أن نلتزم بالتقويم الهجري.

٢- أساس استقلال السنوات الزكوية: تعتبر كل سنة زكوية مستقلة عن غيرها، ولا يجوز فرض زكاتين علي المال في نفس السنة، كما لا يخضع نفس المال للزكاة مرتين في السنة تجنبًا لازدواج الزكاة.

٣- أساس تحقق النماء في المال الخاضع للزكاة فعلًا أو تقديرًا، بمعني أن يكون المال الخاضع للزكاة ناميًا مثل مال التجارة، ومال الأنعام، أو ناميًا حكميًا مثل الأموال النقدية غير المستثمرة والتي إذا استثمرت نمت، وأن يكون قد تحقق الإيراد (الكسب) الخاضع للزكاة.

٤- أساس حساب الزكاة علي الإجمالي أو الصافي حسب نوع الزكاة، فعلي سبيل المثال تحسب زكاة الثروة النقدية علي المال ونمائه، وتحسب زكاة المستغلات والرواتب علي الصافي بعد طرح النفقات والديون المسددة.

٥- أساس تقويم الموجودات الزكوية علي أساس القيمة السوقية (الجارية (وقت حلول الزكاة فعلي سبيل المثال، وتُقَوَّمُ البضاعة علي أساس قيمتها السوقية سعر الجملة، وتُقَوَّمُ الديون علي أساس القيمة المرجوة، وهكذا.

٦- أساس ضم الأموال المتجانسة المتحدة في الحول، والنصاب، والسعر، ويضم إلى وعاء زكاة عروض التجارة المال النقدي المستفاد والمدخر من الرواتب والأعطيات.

٧- أساس خصم الالتزامات (المطلوبات) الحالّة من الأموال الزكوية، ويعتبر القسط الحال من الالتزامات طويلة الأجل من الالتزامات الواجبة الخصم.

خطوات حساب الزكاة:

يتم حساب زكاة المال وفق الخطوات التالية:

أولاً: تحديد تاريخ حلول أداء الزكاة، وهو التاريخ الذي تجب وتحسب عنده الزكاة، ويختلف هذا التاريخ حسب طبيعة المال وظروف المزكي، ما عدا زكاة الزروع والثمار، والمعادن والركاز حيث تؤدي الزكاة عند الحصاد أو الحصول علي المعادن، وفي حالة تحديد بداية الحول لأول مرة يكون عندما يصل المال النصاب، ويجوز في بعض الأحوال حساب الزكاة عن كسور السنة عندما يستدعي الأمر ذلك.

ثانيًا: تحديد وتقويم (قياس) الأموال المختلفة المملوكة للمزكي في نهاية الحول وبيان ما يدخل منها في الزكاة حسب الشروط السابق بيانها، ويطلق عليها اصطلاح " الموجودات الزكوية أو الأموال الزكوية ويكون التقويم على أساس القيمة السوقية، أو القيمة الجيدة المرجوَّة، أو الجرد الفعلي حسب نوع المال.

ثالثًا: تحديد وتقويم (قياس) المطلوبات (الالتزامات أو الخصوم) الواجبة الخصم من الأموال الزكوية وفق أحكام ومبادئ فقه الزكاة.

رابعًا: تحديد وعاء الزكاة عن طريق طرح المطلوبات الحالّة من الموجودات (الأموال) الزكوية، ويحسب هذا الوعاء بالمعادلة الآتية:

وعاء الزَّكاة = الأموال الزكوية- المطلوبات الواجبة الخصم (الحالة).

الإيرادات الزكوية المصروفات والنفقات الواجبة الخصم.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



من أخلاق حملة القرآن

الإخلاص

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد ذكرنا في العدد السابق بعض فضائل حملة القرآن، ونشرع في ذكر أهم صفاتهم وأخلاقهم، ومن أعظمها: إخلاص العمل لله عز وجل، فهم يتعلمون القرآن ويعلمونه ويتلونه لوجه الله لا يبتغون به عرضًا من الدنيا.

والإخلاص كما عرفه الكفوي رحمه الله: "هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل: تصفية السر، والقول، والعمل".

وقال الجرجاني: "الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهدًا غير الله تعالى".

قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥)، وقال تعالى: (قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ) (آل عمران: ٢٩).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى).

وإذا تدبر العبد حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن).. الحديث؛ علم أن حفظ القرآن هبة من عند الله يؤتيه من يشاء من عباده، ولذا فهو يخلص ويقوم به آناء الليل وآناء النهار، وإذا تفكر في الأمثال التي ضربها النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يقرأ القرآن اختار لنفسه أعلاها، وهو الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب، وهو مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، وخشي على نفسه من مثل السوء وهو مثل المنافق الذي يقرأ القرآن.

نماذج من إخلاص حملة القرآن:

إبراهيم النخعي: "كان إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاه".

الربيع بن خثيم: "كان عمله كله سرًا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه".

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: قال عنه تلميذه أبو بكر المروزي: "كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، وكان لا يدع قيام الليل وقراءات النهار، فما علمت بختمة ختمها، وكان يسر بذلك".

الحذر من تعلم القرآن وتعليمه لعَرَض من الدنيا:

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): (ينبغي ألا يقصد به توصلاً إلى عرض من أعراض الدنيا، من مال أو رياسة أو وجاهة، أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء عند الناس، أو صرف وجوه الناس إليه، أو نحو ذلك).

قال تعالى: (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) (الشورى: ٢٠)، وقال تعالى: (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) (الإسراء: ١٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من أعراض الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة) (صحيح؛ رواه أبوداود؛ رقم ٣٦٦٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ" (صحيح مسلم: ١٩٠٥).

وعن عمران بن حصين أنه مر على قارئ يقرأ ثم سأل، فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس) (أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٥٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعلموا القرآن، وسلوا الله به الجنة قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله) (السلسلة الصحيحة: ٢٥٨).

وعن جابر بن عبد الله قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن، وفينا الأعرابي والأعجمي، فقال: اقرؤوا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح، يتعجلونه ولا يتأجلونه) (رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٥٩).

من علامات من قرأ القرآن لا يريد به وجه الله:

من الأمور التي تنافي الإخلاص والتي نذكرها للتحذير منها، وقد اختصرتها من كتاب (أخلاق حملة القرآن) للآجري، وكتاب (التبيان في آداب حملة القرآن) للنووي:

- قصد التكبر بكثرة المشتغلين عليه، وكراهة أن يقرأ أصحابُه على غيره، فإنه لو أراد الله بتعليمه لما كره ذلك، بل يقول لنفسه: أنا أردت الطاعة بتعليمه وقد حصلت، وهو قصد بقراءته على غيري زيادة علم، فلا عتب عليه.
- مخالفة عمله علمه، وسريرته علانيته.
- يحفظ القرآن ويقيم حروفه ويضيع حدوده، وإن أخطأ في حرف ساءه ذلك لئلا ينقص جاهه عند المخلوقين.
- يتخذ القرآن بضاعة يتأكل به الأغنياء، ويستقضي به الحوائج.
- إن علم الغني رفق به لدنياه، وإن علم الفقير زجره وعنَّفه؛ لأنه لا دنيا له يطمع فيها.
- يفخر على الناس بالقرآن، ويتباهى بما عنده من فضل علم على أقرانه.
- يغضب إن قصَّر أحد في حقه.
- لا يبالي من أين اكتسب من حلال أو من حرام.
- لا يتأدب بأدب القرآن، ولا يتفكر في معانيه ولا يزجر نفسه عند الوعد والوعيد.
- قليل النظر في العلم الذي هو واجب عليه؛ للقيام بأمر دينه، كثير النظر في العلم الذي يتزين به أمام الناس.
- يظهر ختمه للقرآن؛ رغبةً في ثناء الناس عليه.
- إن ذُكرَ عنده رجل من أهل القرآن بالصلاح كره ذلك، وإن ذُكرَ عنده بمكروه سرَّه ذلك.
- يتتبع عيوب أهل القرآن، ويتمنى أن يخطئ غيره ليكون هو المصيب.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا ممن قرأ القرآن ابتغاء وجهه الكريم؛ إنه هو السميع العليم.

باب السنة

إكمال الهداية من حديث الولاية

الحلقة الأخيرة

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد تكلمنا في حلقتين خلتا حول حديث الولاية الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله، والذي تفرد بروايته عن باقي أصحاب الكتب الستة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» (صحيح البخاري ٦٥٠٢).

وفي الحلقة الأولى بينا مذاهب أهل العلم في الحكم على الحديث، وبيَّنَّا أنها ثلاثة مسالك، وأن الصواب صحته، وهو مذهب شيخ المحدثين؛ البخاري رحمه الله.

ثم بينا قدر هذا الحديث عند علماء السلف، وأنه من أرجى ما ورد من الأحاديث في الولاية، أو أصح ما جاء في صفات الأولياء؛ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وأنه أَصْلٌ فِي السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ وَالْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَطَرِيقِهِ؛ كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، وعزاه إلى الطوفي -رحمهم الله جميعًا-.

ثم تناولناه بالشرح العام، وذكر الفوائد وبعض الشبهات، فليتفضل القارئ الكريم بمراجعته مشكورًا مأجورًا.

وفي الحلقة الثانية: تكلمنا عن بعض الفوائد من الحديث، والتي من أهمها: أن معاداة الأولياء لولايتهم هو معاداة للدين وأنه من كبائر الذنوب.

ثم بيَّنَّا مذهب أهل السنة في الاعتقاد في الولاية، وأنهم وَسَط بين من أنكرها من الغلاة في الدين، وبين مَن أفرط فيها من الغالين في

عباد الله المخلوقين. ثم بيَّنَّا المذهب الحق لمعرفة طريق الولاية الصحيح، وأنه لا يكون إلا بما كان في الكتاب والسنة؛ فيثبتون الولاية لأولياء الله خلافًا لمن أنكرها من الغلاة، ثم هم يثبتونها من طريق الشرع؛ خلافًا لمن ادَّعاها من المفرطين من طريق مخالفة الشرع وتعطيله.

ثم بيَّنَّا أنه بعد تحقيق الإيمان تكون زيادة الولاية بزيادة العبادة لا بتعطيلها ورفعها كما زعم بعضهم رفع التكاليف، وأن المعصية في حقه معفوَّة (ومن ذلك ينظر: فضائح الباطنية ص ٤٦. ط مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت).

ثم بيَّنَّا عقيدة أهل السنة في فهمهم للإيمان، وأنه يزيد وينقص مع الأعمال، وأن أهله يتفاضلون فيه، وكذلك أثبتنا من العقائد صفة المحبة التي أثبتها الله عز وجل لنفسه؛ فعلى من أراد مراجعة بعض ما كان في العددين السالفين تفضلاً منه فجزاه الله خيرًا، ثم من أراد الزيادة على ما سطرناه لأهمية ومناسبة الحال؛ فليرجع إلى ما كان من مصادر أصلية استفدنا منها، وعزونا إليها في صلب المقال.

ثم ها نحن أولاء ننتهي ببيان بعض ما يشتبه حول هذا الحديث الأنور:

الشبهة الأولى:

كيف يوصف الله بالتردد؟!

اعتمد أهل العلم على هذا الحديث في إثبات صفة «التَّردُّد»، وقالوا: بأنها صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله تعالى على ما يليق به.

وخلاصته: أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فتردُّده ليس كتردد المخلوقين مثل سائر صفات رب العالمين، وقد بيناه بتفصيل مناسب في الحلقة الماضية فليراجع.

الشبهة الثانية:

استدل به المخالفون من غلاة الصوفية ومن تبعهم على عقيدة الحلول والاتحاد الكفرية، والتي تفيد أن الله تعالى إنما يحل في الولي، فيكون الولي مظهرًا من مظاهر الله تعالى، أو يكون الولي عين الله تعالى؛ فيكون يد الولي وسمعه وبصره: يد الله وسمعه وبصره؛ وعليه فإن طلب المدد من الولي والاستغاثة به هو في الحقيقة طلب من الله تعالى واستغاثة به؛ لأن الله قد حلّ في الولي» انتهى معنى كلامهم.

أقول: هذا كلامهم الباطل فانتبه يرحمك الله.

ومن أشهر من قال بهذا من ظالميهم، الحلاج، وابن عربي؛ فليراجع كلامهم في كتبهم لمن أراد الوقوف على نصوصهم

والجواب على هذه الفرية الكفرية المهلكة:

رد أولو العلم هذه الفرى، واستدلوا بنفس الحديث على بطلان قول هؤلاء فانظر رحمك الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وطيب ثراه: «وَهَذَا الْحَدِيثُ يَحْتَجُّ بِهِ أَهْلُ الْوَحْدَةِ وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ: مِنْهَا:

١- أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ» فَأَثْبَتَ نَفْسَهُ وَوَلِيَّهُ وَمُعَادِي وَلِيِّهِ وَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَةٌ.

٢- ثُمَّ قَالَ: «وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»؛ فَأَثْبَتَ عَبْدًا يَتَقَرَّبُ إلَيْهِ بِالْفَرَائِضِ ثُمَّ بِالنَّوَافِلِ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى يُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ كَانَ الْعَبْدُ يَسْمَعُ بِهِ. وَيُبْصِرُ بِهِ وَيَبْطِشُ بِهِ وَيَمْشِي بِهِ. «) انتهى.

هذا وقد أجاد شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر رحمه الله وأجزل له المثوبة والأجر في توضيح المعنى فقال في «فتح الباري» (٣٤٣/١١): «وَقد اسْتُشْكِلَ: كَيفَ يَكُونُ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا سَمْعَ الْعَبْدِ وَبَصَرَهُ إلخ؟ وَالْجَوَابُ مِنْ أَوْجُهٍ:

أحدُهَا: أنَّهُ وَرَدَ علَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ، وَالْمَعْنَى: كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ فِي إِيثارِهِ أَمْرِي فَهُوَ يُحِبُّ طَاعَتِي وَيُؤْثِرُ خِدْمَتِي كَمَا يُحِبُّ هَذِهِ الْجَوارِحَ.

ثانيهَا: أنَّ الْمَعْنَى كُلِّيَّتَهُ مَشْغُولَةٌ بِي فَلا يُصْغِي بِسَمْعِهِ إلَّا إلى مَا يُرْضِينِي وَلا يَرَى بِبَصَرِهِ إلَّا مَا أمَرْتُهُ بِهِ.

ثالثُهَا: الْمَعْنَى أجعل لَهُ مَقَاصِدَهُ كَأنَّهُ يَنَالُهَا بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، إلخ.

رابِعُهَا: كُنْتُ لَهُ فِي النُّصْرَةِ كَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ فِي الْمُعَاوَنَةِ عَلَى عَدُوِّهِ.

خَامِسُهَا: قَالَ الْفَاكِهَانِيُّ وَسَبَقَهُ إلَى مَعْنَاهُ ابن هُبَيْرَةَ: هُوَ فِيمَا يَظْهَرُ لِي أنَّهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: كُنْتُ حَافِظَ سَمْعِهِ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ فَلا يَسْمَعُ إلَّا مَا يَحِلُّ اسْتِمَاعُهُ، وَحَافِظَ بَصَرِهِ كَذَلِكَ، إلخ.

سَادِسُهَا: قَالَ الْفَاكِهَانِيُّ: يَحْتَمِلُ مَعْنًى آخَرَ أدَقَّ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ أنْ يَكُونَ مَعْنَى سَمْعِهِ مَسْمُوعَهُ؛ لأنَّ الْمَصْدَرَ قَدْ جَاءَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، مِثْلُ فُلانٌ أمَلِي بِمَعْنَى مَأْمُولِي، وَالْمَعْنَى أنَّهُ لا يَسْمَعُ إلَّا ذِكْرِي وَلا يَلْتَذُّ إلَّا بِتِلاوَةِ كِتَابِي وَلا يَأْنَسُ إلَّا بِمُنَاجَاتِي وَلا يَنْظُرُ إلَّا فِي عَجَائِبِ مَلَكُوتِي وَلا يَمُدُّ يَدَهُ إلَّا فِيمَا فِيهِ رِضَايَ وَرِجْلَهُ كَذَلِكَ، وَبِمَعْنَاهُ قَالَ ابن هُبَيْرَةَ أيْضًا. وَقَالَ الطُّوفِيُّ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ أنَّ هَذَا مَجَازٌ وَكِنَايَةٌ عَنْ نُصْرَةِ الْعَبْدِ وَتَأْيِيدِهِ وَإعَانَتِهِ حَتَّى كَأنَّهُ سُبْحَانَهُ يُنَزِّلُ نَفْسَهُ مِنْ عَبْدِهِ مَنْزِلَةَ الآلاتِ الَّتِي يَسْتَعِينُ بِهَا وَلِهَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةٍ (فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَمْشِي) قَالَ: وَالاتِّحَادِيَّةُ زَعَمُوا أنَّهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَأنَّ الْحَقَّ عَيْنُ الْعَبْدِ، وَاحْتَجُّوا بِمَجِيءِ جِبْرِيلَ فِي صُورَةِ دِحْيَةَ! قَالُوا: فَهُوَ رُوحَانِيٌّ خَلَعَ صُورَتَهُ وَظَهَرَ بِمَظْهَرِ الْبَشَرِ، قَالُوا: فَاللَّهُ أقْدَرُ عَلَى أنْ يَظْهَرَ فِي صُورَةِ الْوُجُودِ الْكُلِّيِّ أوْ بَعْضِهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا!!

سابعها: وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: هَذِهِ أمْثَالٌ، وَالْمَعْنَى: تَوْفِيقُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ فِي الأعْمَالِ الَّتِي يُبَاشِرُهَا بِهَذِهِ الأعْضَاءِ وَتَيْسِيرُ الْمَحَبَّةِ لَهُ فِيهَا بِأنْ يَحْفَظَ جَوَارِحَهُ عَلَيْهِ وَيَعْصِمَهُ عَنْ مُوَاقَعَةِ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ مِنَ الإصْغَاءِ إلَى اللَّهْوِ بِسَمْعِهِ وَمِنَ النَّظَرِ إلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ بِبَصَرِهِ وَمِنَ الْبَطْشِ فِيمَا لا يَحِلُّ لَهُ بِيَدِهِ وَمِنَ السَّعْيِ إلَى الْبَاطِلِ بِرِجْلِهِ. وَإلَى هَذَا نَحَا الدَّاوُدِيُّ وَمِثْلُهُ الْكَلاباذِيُّ وَعَبَّرَ بِقَوْلِهِ: أحْفَظُهُ فَلا يَتَصَرَّفُ إلَّا فِي مَحَابِّي لأنَّهُ إذَا أحَبَّهُ كَرِهَ لَهُ أنْ يَتَصَرَّفَ فِيمَا يَكْرَهُهُ مِنْهُ.

سابعها: قَالَ الْخَطَّابِيُّ أيْضًا: وَقَدْ يَكُونُ عَبَّرَ بِذَلِكَ عَنْ سُرْعَةِ إجَابَةِ الدُّعَاءِ وَالنُّجْحِ فِي الطَّلَبِ وَذَلِكَ أنَّ مَسَاعِيَ الإنْسَانِ كُلَّهَا إنَّمَا تَكُونُ بِهَذِهِ الْجَوَارِحِ الْمَذْكُورَةِ.

تاسعها: قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهُوَ مُنْتَزَعٌ مِمَّا تَقَدَّمَ لا يَتَحَرَّكُ لَهُ جَارِحَةٌ إلَّا فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ فَهِيَ كُلُّهَا تَعْمَلُ بِالْحَقِّ لِلْحَقِّ) انتهى بتصرف يسير.

ثالثا: استشكال وُقُوعِ الْمُحَارَبَةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَعَ أنَّ الْمَخْلُوقَ فِي أسْرِ الْخَالِقِ!

قال ابن حجر: «وَقَدِ اسْتُشْكِلَ وُقُوعُ الْمُحَارَبَةِ وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَعَ أنَّ الْمَخْلُوقَ فِي أسْرِ الْخَالِقِ! وَالْجَوَابُ أنَّهُ مِنَ الْمُخَاطَبَةِ بِمَا يُفْهَمُ فَإنَّ الْحَرْبَ تَنْشَأُ عَنِ الْعَدَاوَةِ وَالْعَدَاوَةُ تَنْشَأُ عَنِ الْمُخَالَفَةِ وَغَايَةُ الْحَرْبِ الْهَلاكُ وَاللَّهُ لا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، فَكَأنَّ الْمَعْنَى فَقَدْ تَعَرَّضَ لإهْلاكِي إيَّاهُ فَأطْلَقَ الْحَرْبَ وَأرَادَ لازِمَهُ أيْ أعْمَلُ بِهِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَدُوُّ الْمُحَارِبُ. قَالَ الْفَاكِهَانِيُّ: فِي هَذَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لأنَّ مَنْ حَارَبَهُ اللَّهُ أهْلَكَهُ، وَهُوَ مِنَ الْمَجَازِ الْبَلِيغِ؛ لأنَّ مَنْ كَرِهَ مَنْ أحَبَّ اللَّهُ خَالَفَ اللَّهَ، وَمَنْ خَالَفَ اللَّهَ عَانَدَهُ وَمَنْ عَانَدَهُ أهْلَكَهُ، وَإذَا ثَبَتَ هَذَا فِي جَانِبِ الْمُعَادَاةِ ثَبَتَ فِي جَانِبِ الْمُوَالاةِ: فَمَنْ وَالَى أوْلِيَاءَ اللَّهِ أكْرَمَهُ اللَّهُ. وَقَالَ الطُّوفِيُّ: لَمَّا كَانَ وَلِيُّ اللَّهِ مَنْ تَوَلَّى اللَّهَ بِالطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى تَوَلَّاهُ اللَّهُ بِالْحِفْظِ

وَالنُّصْرَةِ، وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِأَنَّ عَدُوَّ الْعَدُوِّ صَدِيقٌ وَصَدِيقَ الْعَدُوِّ عَدُوٌّ فَعَدُوُّ وَلِيِّ اللَّهِ عَدُوُّ اللَّهِ فَمَنْ عَادَاهُ كَانَ كَمَنْ حَارَبَهُ وَمَنْ حَارَبَهُ فَكَأَنَّمَا حَارَبَ اللَّهَ».

رابعًا: استشكال بأن النوافل هي التي ينتج عنها محبة الله للعبد والفرائض مقدمة عليها فكيف لا تنتج المحبة!

أفاد ذلك الامام الشوكاني رحمه الله نقلا عن ابن حجر رحمه الله في شرحه الماتع للحديث في كتابه (قطر الولي في حديث الولي)

قال ابن حجر: «قَوْلُهُ (بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحْبِبْتُهُ) فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ (أُحِبَّهُ) ظَاهِرُهُ أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ تَقَعُ بِمُلَازَمَةِ الْعَبْدِ التَّقَرُّبَ بِالنَّوَافِلِ، وَقَدِ اسْتُشْكِلَ بِمَا تَقَدَّمَ أَوَّلًا أَنَّ الْفَرَائِضَ أَحَبُّ الْعِبَادَاتِ الْمُتَقَرَّبِ بِهَا إِلَى اللَّهِ فَكَيْفَ لَا تُنْتِجُ الْمَحَبَّةَ!

قلت: وكان من أفضل ما أجاب به رحمه الله قوله: وَقَالَ ابن هُبَيْرَةَ: يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ مَا تَقَرَّبَ إِلَخْ أَنَّ النَّافِلَةَ لَا تُقَدَّمُ عَلَى الْفَرِيضَةِ؛ لِأَنَّ النَّافِلَةَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ نَافِلَةً لِأَنَّهَا تَأْتِي زَائِدَةً عَلَى الْفَرِيضَةِ فَمَا لَمْ تُؤَدَّ الْفَرِيضَةُ لَا تَحْصُلُ النَّافِلَةُ، وَمَنْ أَدَّى الْفَرْضَ ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ النَّفْلَ وَأَدَامَ ذَلِكَ تَحَقَّقَتْ مِنْهُ إِرَادَةُ التَّقَرُّبِ، انْتَهَى.

والله من وراء القصد،

والحمد لله رب العالمين.

تهنئة واجبة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد - وعلى رأسهم رئيس التحرير- بخالص التهاني والتبريكات للدكتور محمد محروس سعدوني إبراهيم، المدرس المساعد بكلية حقوق الزقازيق، وذلك لحصوله على درجة الدكتوراه، في رسالة بعنوان «دور صناديق الاستثمار الإسلامية في تنشيط سوق الأوراق المالية».

وقد تكونت لجنة المناقشة والإشراف من:

١- أ.د/ عاطف النقلي، رئيس قسم الاقتصاد وعميد الكلية الأسبق، مشرفًا.

٢- أ.د/ رمضان صديق العميد الأسبق لكلية الحقوق بحلوان، مناقشًا.

٣- المستشار الدكتور/ حسن السيد، رئيس المحكمة الاقتصادية بالإسماعيلية.

وقد حصل الباحث على درجة الدكتوراه بتقدير امتياز، ليكون مدرسًا بالقسم.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد يتقدمون بخالص التهاني للابن الغالي الخلوق الدكتور محمد ووالده الحاج محروس سعدوني، وتتمنى له مزيدًا من التوفيق والرقي والتقدم.

رئيس التحرير

عزاء واجب

فقدت أنصار السنة بفرع بورسعيد الشيخ علي عباس العطوي، الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية ببورسعيد، وعضو مجلس الشعب السابق على مدار سنوات طويلة، وأحد مؤسسي الجماعة، وصاحب اليد الطولى في مشروعات الجماعة ببورسعيد.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وجعل الفردوس الأعلى من الجنة مثواه.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد والمركز العام لأنصار السنة يتقدمون بخالص العزاء والمواساة لفرع بورسعيد، وأسرة الفقيد.

رئيس التحرير





إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧٦)

٧١٣- «إن اللهَ وملائكته يُصلونَ على أصحابِ العَمَائم يومَ الجمعة».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٨١/١) بصيغة الجَزم عن النبي صلى الله عليه وسلم وبنى عليه حكمًا شرعيًا، فقال: «والعمامة مستحبة في هذا اليوم، فقد روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال... فذكر الحديث».

قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «أخرجه الطبراني وابن عدي وقال: منكر، ولم أره من حديث واثلة». اهـ.

قلتُ: لا بد أن نقف على علة هذا الحديث لنقف على درجة ضعف هذا الحديث الذي نقل الحافظ العراقي عن الحافظ ابن عدي نكارته، فالحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٨٠/٣٤٧/١) من طريق أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبي الدرداء مرفوعًا وقال: «هذا الحديث منكر». اهـ. قلتُ: وعلة هذا الحديث أيوب بن مدرك. قال الإمام إبراهيم بن الجندي في «سؤالاته لابن معين» (٣١٧): «سألت يحيى بن معين عن أيوب بن مدرك؟ فقال: كذاب قد رأيته لا شيء». اهـ. وأقرَّ هذا التجريح الشديد وأخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٥٨/١/١) وقال: سألت أبي عنه فقال: «ضعيف الحديث متروك». اهـ. وأخرج هذا التجريح وأقره الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٣٤/١١٥/١)، ثم أخرج هذا الحديث وقال: «لا يتابع وقد حدَّث بالمناكير». اهـ. وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٧): «أيوب بن مدرك متروك»، وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين»: «أيوب بن مدرك روى عن مكحول نسخة موضوعة ولم يره». اهـ. وأورد هذا الحديث الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٦/٢)، وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه أيوب بن مدرك، قال ابن معين: كذاب». والحديث أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٣٦/٤) (ح٣٤٨٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١٨٩/٥) وقال: «غريب من حديث مكحول تفرد به عنه أيوب». اهـ.

قلتُ: نستنتج من هذا أن الحديث غريب موضوع. قال الإمام السيوطي في «التدريب» النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان ضعفه». اهـ.

٧١٤- «شر المجالس الأسواق والطرق، وخير المجالس المساجد، فإن لم تجلس في المسجد فالزم بيتك».

الحديث لا يصح، أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠/٢٢) (ح١٤٣) من حديث أيوب بن مدرك حدثنا مكحول عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا، وعلته أيوب بن مدرك المتروك الكذاب كما بينا آنفًا، فالحديث موضوع.

قلتُ: وأخرج هذا الحديث أيضًا الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠/٢٢) (١٤٢) قال: حدثنا الوليد بن حماد، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا بشر بن عون، حدثنا بكار بن تميم عن مكحول عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا به، وهذا الطريق يزيد الحديث وهنًا على وهن، وعلته بشر بن عون، قال الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٩٠/١): «بشر بن عون روى عن بكار بن تميم عن مكحول عن واثلة نسخة فيها مائة حديث كلها موضوعة لا يجوز الاحتجاج به بحال». اهـ.

٧١٥- «لا تذهبُ الدنيا حتى يستغني الرِّجال بالرِّجال، والنساءُ بالنساء، والسحاقُ زنًا فيما بينهم».

الحديث لا يصح. أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٩٠/١) بسنده عن هذه النسخة المكذوبة الموضوعة التي رواها بشر بن عون عن بكار بن تميم عن مكحول عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا، فالحديث موضوع.

٧١٦- «مَن دخل المقابر، فقرأ سورة «يس» خَفَّفَ عنهم يومئذ، فكان له بعدد من فيها حسنات».

الحديث لا يصح: أخرجه أحمد بن محمد بن إبراهيم الثَّعلبي المتوفى ٤٢٧هـ في «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (١١٩/٨)- ط دار إحياء التراث بيروت، قال: أخبرني الحسين بن محمد الثقفي، قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندي، قال: حدثنا حمزة بن الحسين بن عمر البغدادي، قال: حدثنا محمد بن أحمد الرياحي، حدثنا أبي، حدثنا أيوب بن مدرك، عن أبي عبيدة عن الحسن عن أنس مرفوعًا وعلته أيوب بن مدرك المتروك الكذاب، كما بينا آنفًا، فالحديث موضوع، وفوق هذا أبو عبيدة نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (١٠٣٩٤/٥٤٩/٤) عن ابن معين قال: «مجهول». اهـ.

٧١٧- «لا تمنعوا عباد الله فضل الماء، والكلأ، ولا نارًا فإن الله جعلها متاعًا للمقوين، وقوة للمستضعفين».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١/٢٢) (ح١٤٥) قال: حدثنا الوليد بن حماد، ثنا سليمان بن عبد الرحمن، حدثنا بشر بن عون، حدثنا بكار بن تميم عن مكحول عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا، والحديث أورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٥/٤) وقال: «رواه الطبراني في الكبير بسند قال فيه ابن حبان: إن ما روى به فهو موضوع». اهـ. ولقد بينا هذا السند الذي رواه بشر بن عون آنفًا.

٧١٨- «اتقوا البولَ، فإنه أولُ ما يحاسَبُ به العبدُ في القبر».

الحديث لا يصح، أخرجه الحافظ ابن أبي حاتم في «الأوائل» (ح٩٣) قال: حدثنا دحيم، حدثنا عبد الله بن يوسف عن الهيثم بن حميد قال: سمعت رجلاً يحدث مكحولاً عن أبي أمامة مرفوعًا. قلتُ: والراوي عن مكحول في هذا السند رجل لم يسم وهذا الطريق أخرجه أيضًا الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٧/٨) (ح٧٦٠٥)، ولقد أخرج هذا الحديث الطبراني من طريق آخر في «المعجم الكبير» (١٥٧/٨) (ح٧٦٠٧)، وقد صرح باسم الراوي عن مكحول من طريق إسماعيل بن إبراهيم الترجماني قال: حدثنا أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبي أمامة مرفوعًا، وبهذا يتبين أن علة الحديث هو أيوب بن مدرك المتروك الكذاب كما بينا آنفًا، فالحديث موضوع.

فائدة: في هذا الحديث تتبين أهمية جمع الطرق في الصناعة الحديثية للكشف عن علة الحديث، فالحديث أخرجه ابن أبي عاصم كما بينا آنفًا فيه راوٍ لم يسم فصار مبهمًا، فأخرجه الطبراني من طريق كشف الاسم فظهرت العلة عن راوٍ كذاب.

فائدة أخرى: قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٧٩١) سمعت أبي يقول: «لا يصح لمكحول سماع من أبي أمامة». فالحديث فوق أنه «موضوع» فهو «مرسل خفي».

٧١٩- «إنَّ إبراهيم عليه السلامُ قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميتُ خليلهُ؟ فأوحى الله تعالى إليه: هل رأيت محبًّا يكره لقاءَ حبيبهُ؟ فقال: يا ملكَ الموت الآنَ فاقبض».

الحديث لا يصح أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٨٧/٤) وقال: «مشهور»، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «حديث إن إبراهيم قال لملك الموت إذ جاءه ليقبض روحه.... » الحديث لم أجد له أصلاً». اهـ.

٧٢٠- «صلاةُ النهار عجماءُ».

الحديث لا يصح. أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٦٢٨)، ونقل قول الإمام النووي في الكلام على الجهر بالقراءة من «شرح المهذب»: «أنه باطل لا أصل له». وكذا قال الإمام الدارقطني: «لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم».



أحكام الاستحاضة

إعداد/ د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فقد ذكرنا في الحلقة السابقة الحالة الثانية للمستحاضة، وهي المعتادة، وما يتعلق بها من أحكام، ونشرع في هذه الحلقة - بإذن الله تعالى- في ذكر المتحيِّرة، وما يتعلق بها من أحكام، سائلين الله-جل وعلا- أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا؛ إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

الحالة الثالثة: المتحيرة:

وهي من كانت لها عادة ونسيتها. وهذا النسيان قد يحصل بغفلة، أو إهمال، أو مرض، أو جنون وغير ذلك.

وتوصف المتحيرة بالمتحيرة بصيغة اسم الفاعل، لأنها تُحيِّر المفتي، وبصيغة اسم المفعول، لأنها تحيرت بسبب نسيانها. (المجموع شرح المهذب: ٤٣٤/٢).

قال ابن نجيم في البحر الرائق (١٩٩/١): "واعلم أن باب الحيض من غوامض الأبواب، خصوصًا من المتحيرة وتفاريعها، ولهذا اعتنى به المحققون، وأفرده محمد في كتاب مستقل".

قال النووي في المجموع (١١٢/٨): "هذه المسألة وما بعدها من مسائل الناسية هو من عويص باب الحيض بل هي معظمه، وهي كثيرة الصور والفروع والقواعد والتمهيدات والمسائل المشكلات،.... حتى صنَّف الدارمي فيها مجلدة ضخمة ليس فيها غير مسألة المتحيرة، وتقريرها وتحقيق أصولها واستدراكات كثيرة استدركها هو على كثير من الأصحاب... وينبغي للناظر فيها أن يعتني بحفظ ضوابطها وأصولها فيسهل عليه بعده جميع ما يراه من صورها".

حكم المُتحيرة

اختلف الفقهاء في حكم المتحيرة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب الحنفية إلى أن المتحيرة إذا تيقنت الحيض تركت الصلاة والصوم، وإن شكت في وقت أنه طهر أو حيض تحرَّت، فإن لم يكن لها رأي فتأخذ بالأحوط في الأحكام الشرعية، فتجتنب ما تجتنبه الحائض ولا يأتيها زوجها، وتؤمر بالصلاة، والصوم. (البحر الرائق ٢١٩/١).

القول الثاني: ذهب الشافعية إلى أن المتحيرة إن كانت ناسية للعادة غير مميزة للدم فلا تخلو من ثلاثة أحوال: أن تكون ناسية للوقت والعدد، أو ناسية للوقت ذاكرة للعدد، أو ناسية للعدد ذاكرة للوقت.

الحالة الأولى: إذا كانت ناسية للوقت والعدد: ففيها قولان:

أحدهما: أنها كالمبتدأة التي لا تمييز لها.

الثاني: وهو المشهور، أنها تؤمر بالاحتياط؛ لعدم التيقن من الطهر والحيض، فتصلي وتغتسل لكل صلاة؛ لجواز أن يكون ذلك وقت انقطاع الحيض، ولا يطأها الزوج، وتصوم مع الناس شهر رمضان، فيصح لها أربعة عشر يومًا؛ لجواز أن يكون اليوم الخامس عشر بعضه من أول يوم من الشهر وبعضه من السادس عشر، فيفسد عليها بذلك يومان، ثم تصوم شهرًا آخر فيصح لها منه أربعة عشر يومًا.

الحالة الثانية: إذا كانت ناسية لوقت الحيض ذاكرة للعدد: وهي من علمت عدد أيام حيضها، ونسيت وقت عادتها، فكل وقت تيقنت فيه الحيض يلزمها اجتناب ما تجتنبه الحائض، وكل زمان تيقنت فيه الطهر يباح لها فيه ما يباح للطاهر، ويجب عليها ما يجب على الطاهر، وكل زمان شكت في طهرها، حرم عليها جماع زوجها ويجب ما يجب على الطاهر احتياطًا.

الحالة الثالثة: إذا كانت ذاكرة للوقت ناسية للعدد:

إذا كانت ذاكرة لوقت ابتداء الحيض، بأن قالت كان ابتداء حيضي من أول يوم من الشهر، فيكون حيضها يومًا وليلة من أول الشهر؛ لأنه يقين، ثم تغتسل بعده فتدخل في طهر مشكوك فيه إلى آخر الخامس عشر، وتصلي وتغتسل لكل صلاة؛ لجواز انقطاع الدم فيه، وما بعده طهر بيقين إلى آخر الشهر، فتتوضأ لكل صلاة.

وإذا كانت ذاكرة لوقت انقطاعه، بأن قالت كان حيضي ينقطع في آخر الشهر قبل غروب الشمس، فيكون حيضها قبل ذلك يومًا وليلة، وتكون طاهرًا من أول الشهر إلى آخر اليوم الخامس عشر، تتوضأ لكل صلا ة فريضة، ثم تدخل في طهر مشكوك إلى آخر التاسع والعشرين، تتوضأ لكل صلاة، لأنه لا يحتمل انقطاع الدم، ولا يجب الغسل إلا في آخر الشهر في الوقت الذي تيقنت انقطاع الحيض فيه. (المهذب للشيرازي: ١/ ٨٢).

القول الثالث: ذهب الحنابلة إلى أن المتحيرة لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن تكون ناسية لوقتها وعددها، فحكمها أنها تمكث في كل شهر ستة أيام أو سبعة أيام، يكون ذلك حيضها، ثم تغتسل، وهي فيما بعد ذلك مستحاضة، تصوم وتصلي وتطوف.

واستدلوا بحديث حمنة بنت جحش قالت: " كنت أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستفتيه وأخبره، فوجدته في بيت أختي زينب بنت جحش فقلت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فما ترى فيها قد منعتني الصلاة والصوم. فقال.... تحيضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله، ثم اغتسلي ". (أخرجه أبو داود (٢٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٥٥١)، والدارقطني (٨٣٤)، والحاكم في المستدرك (٦١٥).

الحالة الثانية: أن تنسى عددها، كالتي تعلم أن حيضها في العشر الأول من الشهر، ولا تعلم عدده، فتمكث ستًا أو سبعًا، في أصح الروايتين، إلا أنها تمكثها من العشر دون غيرها، وهل تمكثها من أول العشر، أو بالتحري؟ على وجهين. وإن قالت: أعلم أنني كنت أول الشهر حائضًا، ولا أعلم آخره، أو أنني كنت آخر الشهر حائضًا ولا أعلم أوله. أو لا أعلم هل كان ذلك أول حيضي أو آخره؟ فيجعل حيضها اليوم الذي علمته، وأتمت بقية حيضها مما بعده في الصورة الأولى، ومما قبله في الثانية، وبالتحري في الثالثة، أو مما يلي أول الشهر، على اختلاف الوجهين وتذكر وقتها.

الحالة الثالثة: أن تذكر عددها، وتنسى وقتها. وهذه لها حالتان: أحدهما، أن لا تعلم لها وقتًا أصلاً، مثل أن تعلم أن حيضها خمسة أيام ولا تعلم وقتها، فإنها تجلس خمسة من كل شهر؛ إما من أوله، أو بالتحري، على اختلاف الوجهين. والثاني، أن تعلم لها وقتًا، مثل أن تعلم أنها كانت تحيض خمسة أيام من العشر الأول من كل شهر، فإنها تمكث عدد أيامها من ذلك الوقت دون غيره.

أقوال العلماء في المسألة:

جاء في البحر الرائق (١/ ٢١٩): "ومتى تيقنت بالحيض في وقت تركتهما فيه، ومتى شكت في وقت أنه وقت حيض أو طهر تحرَت، فإن لم يكن لها رأي تصلي فيه بالوضوء لوقت كل صلاة وتصوم وتقضيه دونها، ومتى شكت في وقت أنه حيض أو طهر أو خروج

عن الحيض تصلي فيه بالغسل لكل صلاة لجواز أنه وقت الخروج من الحيض، ولا يأتيها زوجها بحال لاحتمال الحيض".

جاء في المهذب للشيرازي (٨٢/١): "إن كانت ناسية للعادة غير مميزة لم يخل: إما أن تكون ناسية للوقت والعدة، أو ناسية للوقت ذاكرة للعدة، أو ناسية للعدة ذاكرة للوقت، فان كانت ناسية للوقت والعدة فهي المتحيرة، وفيها قولان: أحدهما: أنها كالمبتدأة التي لا تمييز لها نص عليه في العدد، فيكون حيضها من أول كل هلال يومًا وليلة في أحد القولين وستًا أو سبعًا في الآخر، فإن عرفت متى رأت الدم جعلنا ابتداء شهرها من ذلك الوقت، وعددنا لها ثلاثين يومًا وحيَّضناها؛ لأنه ليس بعض الأيام بأن يجعل حيضها بأولى من بعض، فسقط حكم الجميع، وصارت كمن لا عادة لها، والثاني: وهو المشهور والمنصوص في الحيض أنه لا حيض لها ولا طهر بيقين، فتصلي وتغتسل لكل صلاة؛ لجواز أن يكون ذلك وقت انقطاع الحيض، ولا يطأها الزوج، وتصوم مع الناس شهر رمضان، فيصح لها أربعة عشر يومًا؛ لجواز أن يكون اليوم الخامس عشر بعضه من أول يوم من الشهر وبعضه من السادس عشر، فيفسد عليها بذلك يومان، ثم تصوم شهرًا آخر فيصح لها منه أربعة عشر يومًا.

وإن كانت ناسية لوقت الحيض ذاكرة للعدد فكل زمان تيقنا فيه الحيض ألزمناها اجتناب ما تجتنبه الحائض، وكل زمان تيقنا طهرها أبحنا فيه ما يباح للطاهر، وأوجبنا ما يجب على الطاهر، وكل زمان شككنا في طهرها حرمنا وطأها وأوجبنا ما يجب على الطاهر احتياطًا، وكل زمان جوزنا فيه انقطاع الحيض أوجبنا عليها أن تغتسل فيه للصلاة، فإن كانت ذاكرة للوقت ناسية للعدد، نظرت؛ فإن كانت ذاكرة لوقت ابتدائه بأن قالت كان ابتداء حيضي من أول يوم من الشهر حيضناها يومًا وليلة من أول الشهر لأنه يقين، ثم تغتسل بعده، فتحصل في طهر مشكوك فيه إلى آخر الخامس عشر، وتصلي وتغتسل لكل صلاة لجواز انقطاع الدم فيه، وما بعده طهر بيقين إلى آخر الشهر، فتتوضأ لكل صلاة، وإن كانت ذاكرة لوقت انقطاعه، بأن قالت كان حيضي ينقطع في آخر الشهر قبل غروب الشمس حيضناها قبل ذلك يومًا وليلة وكانت طاهرًا من أول الشهر إلى آخر الخامس عشر، تتوضأ لكل صلا ة فريضة، ثم تحصل في طهر مشكوك إلى آخر التاسع والعشرين، تتوضأ لكل صلاة لأنه لا يحتمل انقطاع الدم ولا يجب الغسل إلا في آخر الشهر في الوقت الذي تيقنا انقطاع الحيض فيه.

جاء في المغني (٢٣٣/١-٢٣٧): "القسم الرابع من أقسام المستحاضة، وهي من لا عادة لها ولا تمييز، وهذا القسم نوعان: أحدهما الناسية، ولها ثلاثة أحوال: أحدها، أن تكون ناسية لوقتها وعددها، وهذه يسميها الفقهاء المتحيرة. والثانية، أن تنسى عددها، وتذكر وقتها. والثالثة، أن تذكر عددها، وتنسى وقتها. فالناسية لهما، تجلس في كل شهر ستة أيام أو سبعة، يكون ذلك حيضها، ثم تغتسل، وهي فيما بعد ذلك مستحاضة، تصوم وتصلي وتطوف. وعن أحمد أنها تجلس أقل الحيض، ثم إن كانت تعرف شهرها، وهو مخالف للشهر المعروف، جلست ذلك من شهرها، وإن لم تعرف شهرها، جلست من الشهر المعروف؛ لأنه الغالب. لحديث حمنة بنت جحش... وهو بظاهره يثبت الحكم في حق الناسية؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يستفصلها، هل هي مبتدأة أو ناسية؟ ولو افترق الحال لاستفصل وسأل. واحتمال أن تكون ناسية أكثر، فإن حمنة امرأة كبيرة.

القسم الثاني، الناسية لعددها دون وقتها، كالتي تعلم أن حيضها في العشر الأول من الشهر، ولا تعلم عدده، فهي في قدر ما تجلسه كالمتحيرة، تجلس ستًا أو سبعًا، في أصح الروايتين، إلا أنها تجلسها من العشر دون غيرها، وهل تجلسها من أول العشر، أو بالتحري؟ على وجهين.

وإن قالت: أعلم أنني كنت أول الشهر حائضًا، ولا أعلم آخره. أو إنني كنت آخر الشهر حائضًا ولا أعلم أوله. أو لا أعلم هل كان ذلك أول حيضي أو آخره؟ حيَّضناها اليوم الذي علمته، وأتمت بقية حيضها مما بعده في الصورة الأولى، ومما قبله في الثانية، وبالتحري في الثالثة، أو مما يلي أول الشهر، على اختلاف الوجهين.

القسم الثالث، الناسية لوقتها دون عددها، وهذه تتنوع نوعين: أحدهما، أن لا تعلم لها وقتًا أصلاً، مثل أن تعلم أن حيضها خمسة أيام، فإنها تجلس خمسة من كل شهر؛ إما من أوله، أو بالتحري، على اختلاف الوجهين. والثاني، أن تعلم لها وقتًا، مثل أن تعلم أنها كانت تحيض أيامًا معلومة من العشر الأول من كل شهر، فإنها تجلس عدد أيامها من ذلك الوقت دون غيره.

الراجح: والذي يظهر لي بعد عرض أقوال الفقهاء أن أرجح الأقوال في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الحنابلة، والله تعالى أعلم بالصواب.

منبر الحرمين

الحياة الطيبة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله-عباد الله- حق التقوى، فبها تُستجلب النِّعم، وتُستَدفَع النقمُ.

راحة القلب وزوال الهم مطلب كل إنسان

أيها المسلمون: الدنيا دار بلاء وامتحان، طُبعت على كدر ونَصَب، ويكابد الإنسان فيها المتاعب والمشاق، قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ) (البَلَد: ٤)، وحياة المرء في الدنيا قصيرة وليس له من عمره إلا ما طاب، وراحة القلب وزوال الهم والغم مطلب كل إنسان، وبذلك تحصل الحياة الطيبة والعيش الهنيء، والخلق كلهم ينشدون السعادة ويسعون إلى تحصيلها، وأصل السعادة انشراح الصدر وطمأنينة القلب، وإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا شرح صدره، وذلك من أعظم أسباب الهدى وأجل النعم، قال ابن القيم-رحمه الله-:

د: عبد المحسن بن محمد القاسم
خطيب المسجد النبوي الشريف

"شرح الصدر كما أنه سبب الهداية فهو أصل كل نعمة وأساس كل خير".

ولعظيم قدر هذه النعمة سأل موسى-عليه السلام- ربه أن يمن عليه بها أول ما أرسله إلى فرعون، (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) (طه: ٢٥)، وابتدأ سبحانه تعداد نعمه على نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- بذلك، فقال: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشَّرْح: ١).

من أعظم أسباب انشراح الصدر معرفة الله وأسمائه وصفاته:

وإذا عَظُمَ الشيءُ تعددت أسبابه وكان تحصيله أيسر، وأتم الأسباب وأكملها ما دلَّ عليه الشرعُ وأرشد إليه، ولا أعظم في تحقيق انشراح الصدور من العلم بالله وأسمائه وصفاته وتوحيده-سبحانه- بالعبادة، وعلى حسب كمال ذلك وقوته يكون انشراح صدر صاحبه وانفساحه، قال ابن القيم-رحمه الله-: "قال بعض أهل العلم: فكرتُ فيما يسعى فيه



العقلاء فرأيتُ سعيَهم كله في مطلوب واحد وإن اختلفت طرقهم في تحصيله؛ رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم، ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه، بل ولعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقًا موصلة إلاَّ الإقبال على الله ومعاملته وحده وإيثار مرضاته على كل شيء، فليس للعبد أنفع من هذه الطريق ولا أوصل منها إلى لذته وبهجته وسعادته".

وأكمل الخلق في كل صفة يحصل بها اتساع القلب نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- وأكمل الخلق متابعةً له أكملهم انشراحًا ولذة ونعيمًا، ورأس الأسباب الجالبة لانشراح الصدر الإيمان والعمل الصالح، فبهما صلاح القلب والجوارح واستقامة الظاهر والباطن، وبذلك الحياة الطيبة والسعادة الدائمة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النَّحل: ٩٧).

وأشرح شيء لصدر العبد محبته-سبحانه- والإنابة إليه والتنعم بعبادته، قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: "إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحًا فاتهمه؛ فإن الرب-تعالى- شكور".

اختيار الله للعبد خير من اختياره لنفسه:

واختيار الله للعبد خير من اختياره لنفسه، وهو-سبحانه- أرحم بالخلق من أنفسهم، ومن آمن بالقدر خيره وشره سكن قلبه وانشرح صدره، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التَّغَابُن: ١١)، قال علقمة-رحمه الله-: "هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم".

والعباد يتقلبون في حياتهم بين السراء والضراء، ولا انفكاك لأحد عن ذلك بحال، والسعادة في الإيمان بالقضاء والشكر حال السراء، والصبر على الضراء، قال عليه الصلاة والسلام: "عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء فشكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء فصبر فكان خيرًا له" (رواه مسلم).

ومن آمن بلقاء الله وثوابه تعلقت نفسُه بالفاضل عن المفضول، وتسلى بالموعود عن المفقود، وبهذا تصلح له دنياه وآخرته.

وحُسْن الظن بالله-تعالى- عبادة تورث صاحبها أمنا وسعادة، وللعبد من ربه ما ظنه فيه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، قال تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي" (متفق عليه)، والفأل الحسن يشرح الصدر وهو من حسن الظن بالله، ومقاليد الأمور وأزِمَّتُها بيد الله وحده، يقلب القلوب كيف يشاء، فسادًا وصلاحًا وضيقًا وانشراحًا، وسعادة وشقاء، والتوكل على من بيده ذلك وتفويض الأمور إليه والثقة به واجب شرعي، وهو جنة لأهله حاضرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطَّلاق: ٣).

وأرزاق العباد بيد الله ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فطِبْ نفسًا بما قسم الله لك، ولا تحزن على ما فاتك منه.

ومن لجأ إلى الله أعانه وكفاه، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عِمْرَان: ١٧٤).

ومن طمع في السعادة وابتغى انشراح الصدر فليكثر قرع باب الكريم؛ فإن الله قريب ممن دعاه، ولا يُخَيِّب مَنْ رجاه، فبالدعاء صلاح أمور الدنيا والآخرة، ومن دعاء النبي-صلى الله عليه وسلم-: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر" (رواه مسلم).

للذكر تأثير عجيب في انشراح الصدور

وللذِّكر تأثير عجيب في انشراح الصدور

واطمئنان القلوب وزوال الهموم والغموم، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرَّعْد: ٢٨)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم". (رواه البخاري).

والقرآن العظيم كلام الله فيه الهدى والشفا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يُونُس: ٥٧)، وأَوْلَى الخلق بالسعادة مَنْ تلا القرآن وعمل بما فيه، قال سبحانه: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ (طه: ١-٢).

وفي التسبيح والتحميد وكثرة السجود ودوام الطاعة سعة الصدر وذهاب الهم والضيق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ (الْحِجر: ٩٧-٩٩).

وبلزوم التقوى انفراج الهموم وانكشاف الكروب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ (الطَّلَاق: ٢)، وبها تتيسَّر الأمور، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ (الطَّلَاق: ٤).

والصلاة نور لصاحبها وعون على انشراح النفس وذهاب أحزانها، قال عز وجل: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ (الْبَقَرَة: ٤٥)، وكان من هديه- عليه الصلاة والسلام-: "إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة" (رواه أبو داود).

وإذا استفتح العبد يومه بالصلاة صلح له سائر نهاره، فمن صلى الفجر فهو في ذمة الله، ومن صلاها مع سُنَّتها كَفَاهُ الله آخِرَ يومه، قال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يقول: يا ابن آدم، لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أَكْفِكَ آخِرَه" (رواه أحمد).

والعلم الموروث عن الله ورسوله المقترن بالعمل يشرح الصدور، وأهله أشرح الناس صدورًا وأوسعهم قلوبًا، وأطيبهم عيشًا، وأحسنهم أخلاقًا، وكلما اتسع عِلْمُ العبد ازداد انشراحًا في صدره، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا ﴾ (الأَنْعَام: ١٢٢)، قال ابن القيم- رحمه الله- عن شيخ الإسلام: "ما رأيتُ أحَدًا أطيبَ عيشًا منه قط، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعم، بل ضدها، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسَرِّهم نفسًا، تلوح نَضْرَةُ النعيم على وجهه".

والإحسان إلى الخلق خير ولا يأتي إلا بخير، فلا ترى الكريم المحسن إلا أشرح الناس صدرًا وأطيبهم نفسًا، وأنعمهم قلبًا، وقد ضرب النبي-صلى الله عليه وسلم- مثلا في انشراح صدر المؤمن المتصدق وانفساح قلبه، ومثلًا لضيق صدر البخيل وانحسار قلبه فقال: "مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُبَّتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثُدِيِّهما وتَرَاقِيهما، فجَعَلَ المتصدقُ كُلَّما تصدق بصدقة انبثقت عنه حتى تغشي أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هَمَّ بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها" (رواه مسلم).

ومَنْ عامل الناس لأجل الله استراح، فلا يتطلع لمدح ولا ينحسر من قدح، حاله كما في قوله- تعالى-: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ (الْإِنْسَان: ٩)، ويتأكد هذا في معاملة الأقربين ومَنْ قَوِيَ الاتصالُ بهم.

وقد ترى من البشر ما تكره، والعاقل لا يبخس محاسنهم لنقص بَدَرَ منهم، ولا يقطع وصلهم لتقصير أو قصور فيهم، وبذلك يعيش المرء هادئ البال مطمئنا على كل حال، قال عليه الصلاة والسلام: "لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً-أي: لا يبغضها- إن كره منها خلقًا رضي منها آخر" (رواه مسلم).

وفي مجالسة الصالحين وأهل العلم والدين أنس وسعادة، وبها يكسب المرء علمًا وحكمة وتزكو نفسه وينبُل بين أقرانه، ومن رجع في أموره إلى أهل المشورة والعقل انشرح صدره وزال عنه

اللبس والتردد، قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ (النِّسَاء: ٨٣).

وعداوة الشيطان للإنسان لا تنقطع، وفي الاستعاذة طرد لوساوسه التي تكدر صفو كثير من الخلق، والإسلام يسعى لأسباب شرح صدر المسلم من حين استيقاظه، والشيطان يسعى لضد ذلك، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "إن الشيطان يعقد على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد يضرب كل عقدة: "عليك ليل طويل فارقد" فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان"(متفق عليه).

كلما اتسع علم العبد ازداد انشراح صدره وقوة المؤمن مصدر عظيم لانشراح صدره، فلا ينساق مع الأوهام ولا يستسلم للأحزان ولا يضعف أمام المكاره، بل ثابت القلب واثق بأن مع العسر يسرًا، وإذا استحضر العبد فَضْلَ الله ونعمته عليه أوجب ذلك له إحداثَ شكر تطمئن له النفس وينشرح الصدر.

والقناعة رأس الغنى ومِنْ أنفع ما تُداوى به النفوسُ ما أرشد إليه النبي-صلى الله عليه وسلم- بقوله: "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم"(متفق عليه).

ومن جمع قلبه على يومه وساعته اطمأنَّت نفسُه فلا يحزن على ما مضى ولا يغتم لما يستقبل، فالماضي لن يعود، والمستقبل غَيْبٌ مكتوبٌ، ومن دعائه-عليه الصلاة والسلام-: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن" (رواه البخاري).

وعدم الانتفاع بفراغ الوقت مصدر للهم والكَدَر، ومن عمَّر وقتَه بعمل صالح أو علم نافع زال عنه ذلك، وجماع السعادة في الاستعانة بالله على ما ينفع، والبعد عن كل ما يُوهِنُ العبدَ ويُضعف قلبَه وعملَه، قال عليه الصلاة والسلام: "احْرِصْ على ما ينفعُكَ، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"(رواه مسلم).

والذنوب باب تَرِدُ منه المصائبُ على العباد، وما يجازى به المسيء من الهم والغم وضيق الصدر وقسوة القلب عقوبة عاجلة قبل الآخرة، والمَخْرَج من ذلك بالبعد عن المعاصي والتوبة إلى الله؛ ليحل مكان الضيق انشراح ومحل الوحشة أنس.

وتطهير القلب من أمراضه يشرح الصدر ويوسعه، ومن دعاء المؤمنين: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (الْحَشْر: ١٠)، وعلى هذا الوصف يكون أهل الجنة، قال سبحانه: ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾ (الْأَعْرَاف: ٤٣).

وبعد أيها المسلمون: فالإسلام أصل كل خير ومصدر السعادة جميعها، أهله في جنة عالية ونعيم لا ينقطع، قال سبحانه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (النَّحْل: ٣٠)، ومَنْ عَرَفَ شقاءَ الجاهلية وأهلها عَرَفَ فضلَ نعمة الإسلام وأهله، ولم يسعه إلا شكر الله على ذلك، والتمسك بدينه والاعتزاز به، والثبات عليه ودعوة الخَلْق إليه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الْأَنْعَام: ١٢٥).

ويجب على المسلم الإعراض عن الأراجيف واشاعات المغرضين، وعدم الإصغاء إليها وأن يشغل وقته بما ينفع.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

الله هو الرزاق

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

فمما يجب على الإنسان الإيمان به؛ أن يؤمن إيمانًا جازمًا لا ريب فيه أن الله تعالى وحده هو الرزَّاق، أي: المتكفِّل بأرزاق العباد، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، قال الله تعالى: «وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» (هود:٦)، وبيَّن سبحانه أن الرزق مكتوب في السماء وهو وَعدُ الله وحكمه في القضاء قبل أن يكون واقعًا مقدورًا في الأرض، فقال سبحانه: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» (الذاريات:٢٢)، بل أقسم سبحانه بربوبيته على ذلك، فقال تعالى: «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» (الذاريات:٢٣).

أي: أقسم بربِّ السماء والأرض إن ما توعدون به من الرزق والبعث والنشور لحقٌّ كائن لا محالة مثل نطقكم، فكما لا تشكُّون في نطقكم حين تنطقون فكذلك يجب ألا تشكُّوا في الرزق والبعث، وهذا على سبيل التشبيه والتمثيل أي رزقكم مقسوم في السماء كنطقكم فلا تشكوا في ذلك، وهذا كقول القائل: هذا حق كما أنك ههنا، وهذا حقٌّ كما أنك ترى وتسمع.

فالرزق لا يفارق الشخص في حال من الأحوال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله». (صحيح الجامع: ١٦٣٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لو فرَّ أحدكم من رزقه، أدركه كما يدركه الموت». (صحيح الترغيب: ١٧٠٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى تمرةً عائرة (أي: ساقطة لا يُعرف لها مالك)، فأخذها فناولها سائلاً، فقال: «أما أنَّك لو لم تأتها لأتتك». (صحيح الترغيب ١٧٠٥).



وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فدعا الناس فقال: «هلموا إليّ». فأقبلوا إليه فجلسوا، فقال: «هذا رسولُ ربِّ العالمين، جبريلُ صلى الله عليه وسلم نفث في رُوعي: أنه لا تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله، فإنَّ الله لا يُنال ما عنده إلا بطاعته». (صحيح الترغيب: ١٧٠٢).

فالأرزاقُ مقسومة ولن يُعجل الله شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله، قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ. (مسلم: ٤/٢٠٥٠).

وفي هذا بيانُ أنَّ الذي قدره الله من الرزق والأجل سيكون في الوقت الذي قدره الله سبحانه قبل أن تخلق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ». (متفق عليه).

فالمتفرد بالرزق هو الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ» (فاطر: ٣).

وقال تعالى: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ» (سبأ: ٢٤)، وأنكر الله تعالى على المشركين عبادتهم للأوثان، فقال تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» (النحل: ٧٣)، وتحدّى سبحانه أي مخلوق أنه يصله رزقه من غيره سبحانه وتعالى، فقال تعالى: «أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ» (الملك: ٢١).

وقال تعالى في إبطال الشرك: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (الروم: ٤٠).

وقال تعالى: «وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ

رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (العنكبوت:١٦-١٧)، فالله وحده متكفل برزق جميع المخلوقات، قال تعالى: «وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ» (العنكبوت:٦٠)، والمعنى أي: لا تُطيق جمعه ولا تحصيله، ولا تدخره شيئًا لغد، (الله رزقها)، أي: يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها، فيبعثُ إلى كلِ مخلوق من الرزق ما يُصلحه حتى الذر في قرار الأرض والطيرُ في الهواء، والحيتانُ في الماء. (تفسير ابن كثير: ٤٢٠/٣).

ولما كان هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، فعلى الجميع أن يثقوا ويطمئنوا بما عند الله من الرزق وانه من المحال أن يؤثر رزق أحد على آخر وليثق الوالدان أن الله تعالى تكفَّل برزقهما ورزق أبنائهما، فقال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ» (الأنعام:١٥١)، وقال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ» (الإسراء:٣١).

تأمل- أخي لطائف التعبير القرآني، في الحالة الأولى بيان أن رزقكم مضمون وحاصل ورزقهم معكم، وفي الحالة الثانية رزقهم مضمون ورزقكم معهم: سترزقون بسببهم فلا خوف إذن من الحاضر ولا المستقبل، وفي قوله سبحانه: «نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ» (الإسراء:٣١) بدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله، ولذا لما سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يَطْعَم معك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»؛ ثم تلا صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» (الفرقان:٦٨).

ثم إن الله تعالى لم يختصَّ برزقه مَن آمن في الحياة الدنيا، وإنما كان الرزق في الدنيا للجميع، للمؤمنين والكافرين، وهذا من عظيم لطفه ورحمته بجميع خلقه، قال الله تعالى: «اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» (الشورى:١٩)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنْ اللهِ؛ يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه.

الحكمة من تفاوت الأرزاق

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن فاوت بين خلقه في الرزق كما فاوت بينهم في الخَلق والخُلق وهو سبحانه العليم الحكيم، فهو أعلم بما يُصلح خلقه، فمن الناس من لا يصلحه إلا الفقر ولو اغتنى لفسد، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى، ولو افتقر لفسد، قال الله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» (الإسراء:٣٠). وقال تعالى: «وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» (الشورى:٢٧).

مفاهيم الغنى والفقر وعلاقتها برضا الرب وسخطه

فعليك بالرضا تكن أغنى الناس، قال صلى الله عليه وسلم: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس». (صحيح الجامع: ١٠٠).

وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذافيرها» (صحيح الجامع: ٦٠٤٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «قد أفلح مَن أسلم، وكان رزقه كفافًا وقنَّعه الله بما

آتاه». (مسلم: ١٠٥٤).

الوسائل المعينة على الرضا بالأرزاق

ومما يعينك على الرضا أمور: منها: يقينك أنَّ الله تعالى وحده المتكفل بالرزق كما قال الله سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ» (فاطر:٣)، وقال الله تعالى: «أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ» (الملك:٢١). والمعنى: أي: من هذا الذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده؟ أي: لا أحد. فرزق الجميع على الله وحده، فعلق قلبك بالله وحده، فأنت فقير وغير فقير: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» (فاطر:١٥)، ومنها: أنك لن تموت حتى تستوفي رزقك وأجلك كاملين: «أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها». (صحيح الجامع: ٢٠٨٥).

ومنها: أن الرزق الذي قدَّره الله لك هو أصلح لحالك: «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» (الإسراء:٣٠)، فإن الإنسان يُحمى من فضول الدنيا رحمةً به وإحسانًا إليه، فإنَّ توسيع الرزق قد يكونُ مضرةً على صاحبه، وتقديرهُ قد يكون رحمة لصاحبه، «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النور:١٩).

ومنها: أن تنظر لمن هو دونك، قال صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن تزدروا نعمة الله عليكم». (صحيح الجامع: ١٥٠٧).

فمن نظر إلى من هو أسفل منه رأى نفسه ملكًا، فحمد الله، وقنع بما آتاه، وحسبك حال أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ جَابِرٍ قَالَ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ، لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ". (صحيح الترغيب: ٣٣٠٩). ومعنى: «الخبط» ورق شجر معروف تأكله الإبل.

ومنها أن تأخذ بالأسباب المشروعة، قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (الملك:١٥).

وحسبك من ذلك تقوى الله سبحانه المتمثلة في امتثال أوامر الله سبحانه واجتناب نواهيه، فإن تقوى الله وطاعته سببٌ عظيمٌ للرزق والبركة فيه، قال سبحانه: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (الطلاق: ٢-٣). أي: من جهة لا تخطر بباله.

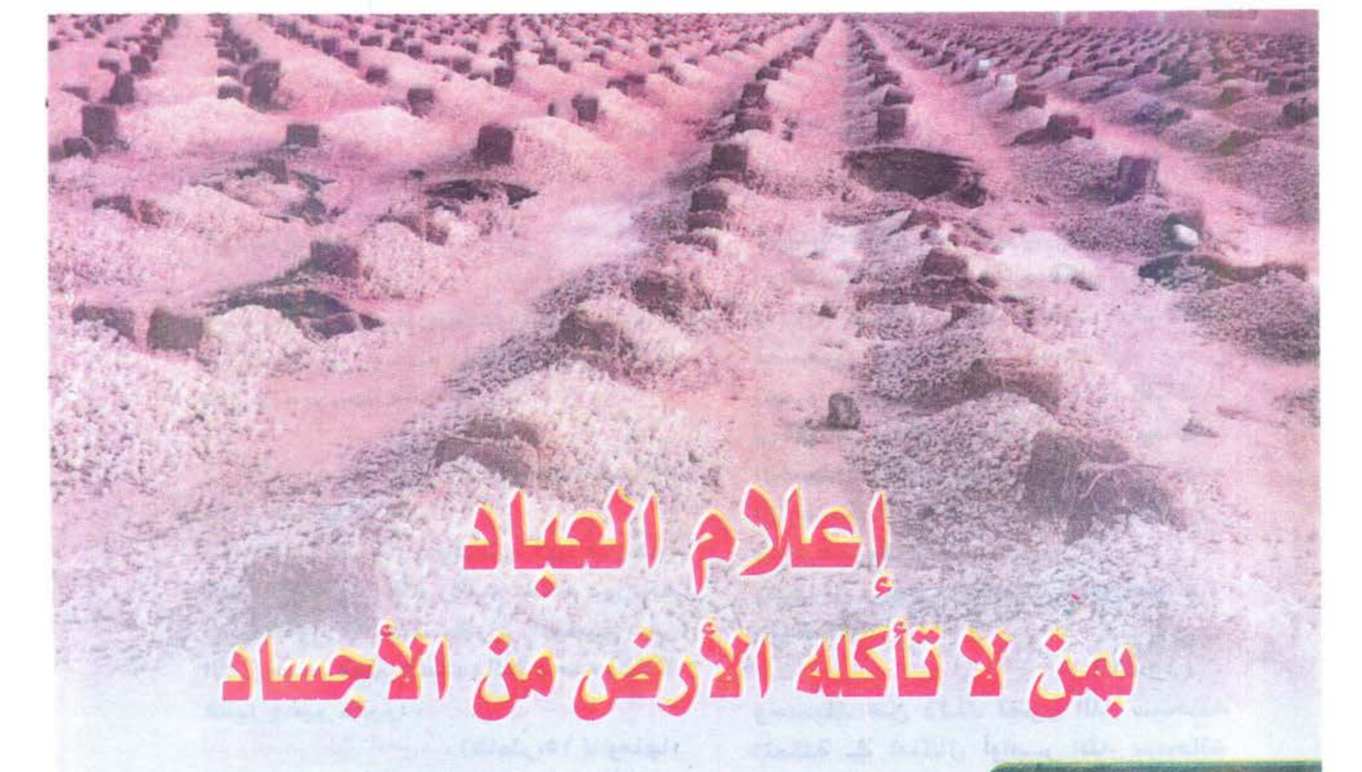
وقال الله سبحانه: «أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (الأعراف:٩٦).

والحقيقة الرزق الذي يُعولُ عليه هو الرزق الدائم الذي لا ينقطع ولا يزول، قال الله تعالى: «هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ» (ص:٤٩-٥٤).

وقال تعالى: «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا» (الطلاق:١١).

«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (البقرة:٢٠١).

آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



إعلام العباد بمن لا تأكله الأرض من الأجساد

الحلقة الثانية

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبّد.

أما بعدُ: فنواصل حديثنا حول إعلام العباد بمن لا تأكله الأرض من الأجساد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

المبحث الثالث: المستثنون من تحلل أجسادهم

وبالرغم من عموم الأدلة السابق ذكرها على تحلل أجساد بني آدم، إلا أن هناك أدلة نقلية، وعقلية بينت استثناء طوائف من بني آدم من التحلل، فمنها ما هو خاص بالأنبياء، ومنها ما يتعلق بالكرامة، وهذه خاصة ببعض الأولياء، ومنها ما يتعلق ببعض العوامل الأخرى التي تمنع التحلل، ونستعرضها جميعًا في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أجساد الأنبياء:

وردت الأدلة باستثناء الأنبياء من تحلل أجسادهم بعد مماتهم، فقد حرم الله على الأرض أن تأكلها، وليس المقصود الأنبياء فقط،

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

وإنما المقصود الأنبياء والمرسلين لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، فإذا أطلق لفظ الأنبياء دخل فيه الرسل لكونهم أنبياء أيضا، وعدد الأنبياء والرسل لا يعلمه إلا الله، لقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ» (غافر: ٧٨).

فعن أوس بن أبي أوس وقيل أوس بن أوس والد عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مِنْ أفضَلِ أيَّامِكُم يومُ الجمُعة، فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفخةُ، وفيه الصَّعقةُ، فأكثِروا عليَّ منَ الصَّلاةِ فيه؛ فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ. قالوا: يا رسولَ اللهِ! وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليكَ وقد أرَمْتَ؟ يَعني: بَليتَ فقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حرَّمَ على الأرضِ أنْ تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ» (رواه أبوداود، والنسائي، وابن ماجه وصححه الألباني)

قال العظيم أبادي - رحمه الله - في

« عون المعبود »: «(وقد أرمت) جملة حالية بفتح الراء وسكون الميم وفتح التاء المخففة، ويروى بكسر الراء أي بليت، وقيل على البناء للمفعول من الأرم وهو الأكل أي صرت مأكولا للأرض، (قال): أي أوس الراوي (يقولون) أي الصحابة أي يريدون بهذا القول (بليت فقال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله- عز وجل- حرم على الأرض) أي منعها وفيه مبالغة لطيفة (أجساد الأنبياء) أي من أن تأكلها فإن الأنبياء في قبورهم أحياء. قال ابن حجر المكي: وما أفاده من ثبوت حياة الأنبياء حياة بها يتعبدون ويصلون في قبورهم مع استغنائهم عن الطعام والشراب كالملائكة أمر لا مرية فيه، وقد صنف البيهقي جزءا في ذلك.

قال المنذري: وأخرجه النسائي وابن ماجه وله علة دقيقة أشار إليها البخاري وغيره وقد جمعت طرقه في جزء.

وفي النيل بعد سرد الأحاديث في هذا الباب ما نصه: وهذه الأحاديث فيها مشروعية الإكثار من الصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم الجمعة وأنها تعرض عليه- صلى الله عليه وسلم- وأنه حيّ في قبره. وقد أخرج ابن ماجه بإسناد جيد أنه- صلى الله عليه وسلم- قال لأبي الدرداء إن الله- عز وجل- حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء وفي رواية للطبراني ليس من عبد يصلي علي إلا بلغني صلاته، قلنا: وبعد وفاتك، قال: وبعد وفاتي إن الله- عز وجل- حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. وفي صحيح مسلم عن النبي- صلى الله عليه وسلم – قال: «مررت بموسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبر». اهـ.

كرامات الأولياء ليست عامة:

سبق وأن ذكرنا أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وهي عامة بجميع الأنبياء- عليهم السلام- لأن الألف واللام للعموم، ولم يأت في الحديث ما يخصصها ببعضهم دون بعض، أما بالنسبة لغيرهم من الأولياء، فلم يأت دليل من القرآن أو السنة على تحريم أكل أجسادهم عموما- كالأنبياء- فيبقون على الأصل العام الذي يعم سائر البشر، وهو فناء، وتحلل أجسادهم، إلا أن يأتي الدليل الحسي، ويصح الدليل النقلي على عدم تحلل أجساد بعض الأولياء، فيثبت لهم ذلك دون غيرهم.

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في « سلسلة الهدى و النور » ردًا على سؤال « هل أجساد الشهداء لا تفنى كأجساد الأنبياء؟ »: «السائل: يقولون أن جثة الشهيد لا تبلى يعني باقي جثث الأموات..

الشيخ: ليس لهذا القول دليل شرعي.

السائل: كما يقولون أن قبر سيدنا حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم...

الشيخ: ليس هناك دليل في الشرع يخبرنا أن أجساد الشهداء لا تفنى كأجساد الأنبياء، عندنا نص أن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. مثل هذا النص بالنسبة للشهداء لا يوجد إطلاقًا، لكن الذي وقع أن في التاريخ الإسلامي الأول بسبب حفريات اكتشفوا جثث بعض الشهداء كما هي. هذا صحيح وقع، لكن هذا لا يعطينا قاعدة أولاً: أن كل شهيد لا يبلى جسده، بل قد وجدت بعض الأجساد لغير الشهداء وهذا كما قلت أنها يجوز يكون إما أمر يعود إلى طبيعة الأرض أو أن الله عز وجل العليم بأحوال الموتى فقد يكرم بعضهم بأن يبقي جسده كما كان في قيد الحياة، تكون كرامة من الله لذاك الإنسان سواء كان شهيدا أو كان صالحا غير شهيد.

لكن لا يجوز أن نأخذ من ذلك قاعدة فلا نقول على الله ما لا نعلم. نقول: إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. أما غير الأنبياء فلا دليل عندنا بأن أجسادهم تبقى» اهـ. وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



واحة

من نور كتاب الله

جزاء اتباع السُّنَّة

قال الله تعالى: « وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا » (النساء: ٦٩).

من فضائل الصحابة

أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما في الجنة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أهلَ الدَّرجاتِ العُلى يراهُم مَن أسفلَ منهم كما يُرى الكوكبُ الطَّالعُ في الأفُقِ من آفاقِ السَّماءِ، وإنَّ أبا بكرٍ وعمرَ منهُم وأنعَما" (صحيح ابن ماجه ٧٩).

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ رسولَ اللَّه كان على جبلِ حراءٍ، فتحرك، فقال رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "اسكن حراءُ! فما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ" وعليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وأبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ، والزبيرُ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، رضيَ اللَّهُ عنهم.
(صحيح مسلم ٢٤١٧).

حِكَم ومواعظ

قال حكيم لابنه: "يا بني، إن أشدّ الناس حسرة يوم القيامة: رجل كسب مالاً من غير حلّه فأدخله النار، وأورثه مَن عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة" (العقد الفريد).

من أقوال السلف

قال حكيم لابنه: "يا بني، إن أشدّ الناس حسرة يوم القيامة: رجل كسب مالاً من غير حلّه فأدخله النار، وأورثه مَن عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة" (العقد الفريد).



من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

حَمْدُ الله تعالى في جميع الأحوال

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا رأى ما يُسَرُّ به قالَ الحمدُ للهِ الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصَّالحاتُ، وإذا رأى شيئًا مما يَكْرَهُه قالَ الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ" (ابن ماجه ٣٨٠٣ وحسنه الألباني).

من حكمة الشعر

إنّ الكريم ليُخْفِي عنكَ عسرته
حتى تراه غنيًا وهو مجهود
إذا تكرَّمت أن تعطي القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
(عيون الأخبار)

من معاني الأحاديث

«ما أوتي قوم الجدل إلا ضلوا» الجدل: مقابلة الحجة بالحجة. والمجادلة: المناظرة والمخاصمة. والمراد به في الحديث الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به. فأما الجدل لإظهار الحق فإن ذلك محمود؛ لقوله تعالى: «وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (النحل:١٢٥). (النهاية لابن الأثير).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله". موضوع. (سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني).

مخالفات تقع فيها النساء

تجاوز مدة الحداد على الميت أكثر من ثلاث ليالٍ؛ ما لم يكن المتوفَّى هو زوجها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ تُحدَّ على ميِّتٍ فوقَ ثلاثٍ إلَّا على زوجٍ أربعةَ أشهُرٍ وعشرًا" (صحيح البخاري ١٢٨٠).



دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

(١٠٩)

حجاب المرأة المسلمة

(١٩)

د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما يزال حديثنا متصلاً حول أدلة الحجاب من القرآن والسنة، انتهيت-بفضل الله تعالى- من أدلة القرآن، ووصلت إلى الحديث الرابع عشر من أدلة السنة، وهو حديث الخثعمية التي استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم النحر، وأخذ الفضل ينظر إليها... الحديث.

ورأينا الاستدلال من الحديث للفريقين؛ الفريق القائل بجواز كشف الوجه، والفريق الذي قال بعدم جواز كشف الوجه. ووصلت إلى كلام الشيخ الشنقيطي -يرحمه الله-، وهو من القائلين بعدم جواز كشف الوجه، فنقلت كلامه -لأنه يضم أكثر استدلالات القائلين بعدم جواز كشف الوجه- ثم أوردت على استدلالاته بعض الإيرادات، ومن ذلك:

١- قوله: ليس في روايات الحديث أنها كانت كاشفة عن وجهها.. والرد على ذلك.

٢- قوله: قد ينكشف عنها خمارها من غير قصد... والرد على ذلك.

٣- ويحتمل أن يكون يعرف حسنها -أي: الفضل- قبل ذلك الوقت.. والرد على ذلك.

٤- قوله: ليس في روايات الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها كاشفة عن وجهها... والرد على ذلك.

ونستأنف بقية الإيرادات على كلام الشيخ الشنقيطي:

٥- قول الشيخ الشنقيطي: ومما يوضِّح هذا أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الذي روى هذا الحديث لم يكن حاضرًا وقت نظر أخيه إلى المرأة ونظرها إليه؛ لما قدمنا من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدَّمه -أي: ابن عباس- بالليل من مزدلفة إلى منى في ضعفة أهله، ومعلوم أنه إنما روى الحديث المذكور من طريق أخيه الفضل، وهو لم يقل له: إنها كانت كاشفة عن وجهها.

قلت: في قوله أن ابن عباس روى الحديث عن أخيه الفضل ولم يكن حاضرًا الواقعة، في قوله هذا نظرٌ. قال الترمذي: سألت محمدًا يعني البخاري عن هذا -أي: عن حديث الفضل- فقال: أصح شيء فيه ما روى ابن عباس عن الفضل. قال: فيحتمل

أن يكون ابن عباس سمعه من الفضل ومن غيره ثم رواه بغير واسطة. يقول الحافظ ابن حجر: وإنما رجَّح البخاري الرواية عن الفضل لأنه كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ، وكان ابن عباس قد تقدم من مزدلفة إلى منى مع الضعفة.. وقد سبق في باب التلبية والتكبير من طريق عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الفضل فأخبر الفضل أنه لم يزل يلبي حتى رمى الجمرة، فكأن الفضل حدَّث أخاه بما شاهده في تلك الحالة، ويحتمل أن يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمى جمرة العقبة فحضره ابن عباس، فنقله تارة عن أخيه؛ لكونه صاحب القصة، وتارة عما شاهده، ويؤيد ذلك ما وقع عند الترمذي، وأحمد، وابنه عبدالله، والطبري من حديث عليّ مما يدل على أن السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ من الرمي، وأن العباس كان شاهدًا.

ولفظ أحمد عندهم من طريق عبيدالله بن أبي رافع عن علي قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة، فقال: هذه عرفة وهو الموقف... فذكر الحديث، وفيه ثم أتى الجمرة فرماها ثم أتى المنحر، فقال: هذا المنحر، وكل منًى منحر، واستفتته، وفي رواية عبدالله (بن أحمد). ثم جاءته جارية شابَّة من خثعم، فقالت: «إن أبي شيخ كبير قد أدركته فريضة الله في الحج، أفيجزئ أن أحج عنه؟ قال: حجي عن أبيك، قال: ولوَى عُنق الفضل: فقال العباس: يا رسول الله لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابًا وشابَّة فلم آمن عليهما الشيطان». وظاهر هذا أن العباس كان حاضرًا لذلك، فلا مانع أن يكون ابنه عبدالله أيضًا كان معه. (انظر فتح الباري ٦٧/٤، والأحاديث التي أشار إليها الحافظ ابن حجر في المسند، ح٥٦٢، ح ١٣٤٨، وقال الأرناؤوط: حسن، والترمذي ح٨٨٥، وقال الألباني: حسن، والطبري في التفسير ح٣٨٢٨،٣٨٢٧).

٦- قول الشيخ الشنقيطي: إن المرأة مُحْرِمَة، وإحرام المرأة في وجهها وكفيها، فعليها كشف وجهها إن لم يكن هناك رجال أجانب ينظرون إليه، وعليها ستره من الرجال في الإحرام كما هو معروف عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن، ثم قال: وبذلك يُعْلَم أنها مُحْرِمَة لم ينظر إليها أحدٌ، فكشفها عن وجهها إذن لإحرامها، لا لجواز السفور.

قلت: ذكرت من روايات حديث الفضل رضي الله عنه أن ذلك كان بعد رمي الجمرات وعند النحر، ومعنى ذلك أن سؤال الخثعمية كان بعد التحلل من الإحرام، وبالتالي فلا حجة في كلامه أنها كاشفة عن وجهها؛ لأنها مُحْرِمَة، يقول الشيخ الألباني -يرحمه الله-: «استَدل الحافظ في الفتح على أن الاستفتاء وقع عند المنحر بعد الفراغ من الرمي»، ثم قال الشيخ: «ومعنى ذلك أن السؤال كان بعد التحلل من الإحرام، كما هو معلوم أن الحاج إذا رمى جمرة العقبة، حلَّ له كل شيء إلا النساء وحينئذ فالمرأة الخثعمية لم تكن مُحْرِمَة» (انظر: جلباب المرأة المسلمة، ص٦٣).

ثم قال الألباني: «ثم هَبْ أنها كانت مُحْرِمَة، فإن ذلك لا يخدج في استدلال ابن بطَال المذكور (قلت: يقصد قول ابن بطال استدلالاً من الحديث: وفيه دليل على أن نساء المؤمنين ليس عليهن من الحجاب، ما يلزم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ لو لزم ذلك جميع النساء لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الخثعمية بالاستتار، ولما صرَف وجه الفضل، وفيه دليلٌ على أن ستر المرأة وجهها ليس فرضًا لإجماعهم على أن للمرأة أن تُبْدي وجهها في الصلاة ولو رآه الغرباء، وأن قوله: (قلْ للمؤمنين يَغُضُّوا من أبْصَارهم) على الوجوب في غير الوجه».

ثم نقل كلام الحافظ ابن حجر تعليقًا على كلام ابن بطال: «في استدلاله -ابن بطال- بقصة الخثعمية كما ادعاه نظرٌ؛ لأنها كانت مُحْرِمَة. قال الألباني: كلا فإنه لا دليل على أنها كانت مُحْرِمَة، بل الظاهر خلافه، فقد قدمنا عن الحافظ نفسه أن سؤال الخثعمية للنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بعد رمي جمرة العقبة -أي: بعد التحلل-؛ فكأن الحافظ نسي ما كان حقَّقه هو بنفسه-رحمه الله تعالى-». ثم قال الألباني: «المُحْرِمَة تشترك مع غير المُحْرِمَة في جواز ستر وجهها

بالسدل عليه، وإنما يجب عليها أن لا تنتقب فقط، فلو أن كشف المرأة لوجهها أمام الأجانب لا يجوز لأمَرَها صلى الله عليه وسلم أن تسدل عليه من فوق؛ كما قال ابن حزم - لا سيما وهي من أحسن النساء وأجملهن، وقد كاد الفضل بن عباس أن يُفتن بها» (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٦٣،٦٤).

ومن ناحية أخرى؛ فإن الشيخ الشنقيطي قال: «فعليها كشف وجهها إن لم يكن هناك رجال أجانب ينظرون إليه، وعليها ستره من الرجال في الإحرام». قلت: وكلام الشيخ يلزم منه أنها كانت تغطي وجهها في حال إحرامها، وهي لم تكن مُحْرِمَة، وكانت كاشفة عن وجهها. قال الشيخ الشنقيطي- يرحمه الله-: «فإن قيل: كونها مع الحجاج مظنة أن ينظر الرجال وجهها إن كانت سافرة؛ لأن الغالب أن المرأة السافرة في وسط الحجيج لا تخلو ممن يَنظر إلى وجهها من الرجال».

ثم قال الشنقيطي: «فالجواب أن الغالب على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الورع وعدم النظر إلى النساء، فلا مانع عقلاً ولا شرعًا ولا عادةً من كونها لم ينظر إليها أحدٌ منهم، ولو نظر لحكى كما حكي نظر الفضل إليها. قلت: بنى الشيخ كلامه على أنها لم يرها إلا الفضل، وهذا بعيد، وهي تأتي وتسأل النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر (شديد الزحام)، والنبي صلى الله عليه وسلم كان محاطًا بأصحابه إن لم يكن بأجسادهم فبعيونهم!

٨- قال الشيخ الشنقيطى -يرحمه الله-: «وبالجملة؛ فإن المُنْصف يعلم أنه يبعد كل البعد أن يأذن الشارعَ للنساء في الكشف عن الوجه أمام الرجال الأجانب، مع أن الوجه هو أصل الجمال، والنظر إليه من الشابَّة الجميلة هو أعظم مثير». قلت: يعود الشيخ هنا ليقرر أن وصف الجمال يأتي من الوجه، وأن الوجه هو أصل الجمال، ومع أنه سبق له أن ذكَر -كما رأينا- أن وضاءة المرأة وحسنها قد تُعْرَف من غير وجهها.

يقول الشيخ ابن عثيمين -يرحمه الله-: «فإن قيل: فلماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة بتغطية وجهها؟ فالجواب: ان الظاهر أنها كانت مُحْرِمَة، والمشروع في حقها أن لا تغطي وجهها؛ إذا لم يكن أحد ينظر إليها من الأجانب» (ثلاث رسائل في الحجاب، ص٤٦).

قلت: أما قول الشيخ: الظاهر أنها كانت مُحْرِمَة، فهذا سبَق الرد عليه، بأن روايات الحديث بيَّنت أن قصة الخثعمية كانت في يوم النحر بعد رمي الجمرات، وبعد التحلل من الإحرام، ومن هذه الأحاديث -إضافة لما ذكرتُ- حديث جابر بن عبدالله في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «.. وصلى الفجر حين تبيَّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبَّره وهلَّله ووحَّده؛ فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًا، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس وكان رجلاً حَسَن الشعر أبيض وسيمًا..» (صحيح مسلم ح ١٢١٨).

وأما قول الشيخ ابن عثيمين- يرحمه الله-: «والمشروع في حقها- أي: المُحْرِمَة- أن لا تغطي وجهها؛ إذا لم يكن أحد ينَظر إليها من الأجانب». قلت: وهذا سبق أن رددت عليه بأنها كانت كاشفة عن وجهها عندما استفتت النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فكيف وصفها الفضل بالحسن والجمال، ولماذا صرف النبي صلى الله عليه وسلم وجه الفضل حتى لا ينظر إليها؟

ثم قال الشيخ ابن عثيمين: «أو يقال: لعل النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بعد ذلك، فإن عدم نقل أمره بذلك لا يدل على عدم الأمر؛ إذ عدم النقل ليس نقلاً للعدم».

قلت: الشيخ هنا أقام كلامه على افتراض، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بتغطية وجهها، لكن هذا لم يُنقَل إلينا، وهذا أراه بعيدًا جداً؛ إذ كيف لا يذكر رواة الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها بتغطية وجهها، والمقتضي لذكر ذلك موجود بل وقوي، فبعد صرف وجه الفضل، لو أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بتغطية وجهها لذَكَرَ الرواة ذلك في الحديث، ولكونه لم يأت في أي رواية -فيما أعلم- فيبقى هذا مجرد احتمال لا يقرِّر شيئًا.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.



الأذكار عقب الصلاة

إعداد: د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد تكلمنا في الحلقة السابقة عما يقال عَقِبَ الصلاة، فذكرنا الأحاديث التي وردت في التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والكيفيات التي وردت بها، وما يُستحَب للمصلي من ذلك، ونكمل في هذه الحلقة الحديث عما يُقال عَقِيبَ الصلاة من أذكار، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تلاوة آيات من القرآن عقب الصلاة:

قراءة القرآن من أعظم القُربات عند الله سبحانه، والمندوب للمسلم إذا صلى وجلس يذكر الله سبحانه أن يتلو ما يلي:

١- آية الكرسي، وهي الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

٢- سورة الفلق.

٣- سورة الناس.

والأصل في ذلك ما وردت به الأحاديث التالية:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسي دُبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». رواه الطبراني والنسائي وابن حبان، وقال الألباني: صحيح. انظر: حديث (٦٤٦٤) في صحيح الجامع.

وعن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة». قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١٩/٤: أخرجه أبو داود (١٥٢٣)، وابن حبان (٢٣٤٧)، وأحمد (١٥٩/٤)، ورواه ابن حبان ولفظه: «اقرأوا المعوذات في دبر كل صلاة»، وفي رواية للنسائي والترمذي «المعوذتين» بالتثنية.

قوله المعوذات- بصيغة الجمع- استدل به بعضهم على الإتيان بسورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس؛ لأن هؤلاء السور ثلاثٌ، فهي تشمل الإخلاص من باب التغليب، فيراد بها الإخلاص والمعوذتان. (الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ١٦٥/٢).

ووقف بعضهم على لفظة المعوذتين- بالتثنية- فقالوا بتلاوة سورة الفلق، وسورة الناس فحسب وهو الأصح، وذلك أن من أسلوب العربية أن يُؤتَى بصيغة الجمع للمفرد وللمثنى أحيانًا، قال الله تعالى: «ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ» (آل عمران: ١٧٣)، والقائل هو رجل واحد من خزاعة، وعلى هذه القاعدة خرج الحديث؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم أطلق لفظة المعوذات- بالجمع- على المعوذتين- الفلق والناس- فهما المقصودتان فقط. وعلى هذا فإن سورة الإخلاص لا تندرج تحت هذه اللفظة، فهي بالتالي ليست مطلوبة هنا. (الجامع لأحكام الصلاة، لمحمود عبد اللطيف عويضة ٣٨٥/٢).

هذا ما وردت به النصوص من آيات تقال عقب الصلاة ما كان منها صحيح أو حسن.

الدعاء عقب الصلاة:

إن فضل الدعاء في الإسلام معلوم من الدين بالضرورة، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: وقال ربكم ادعوني استجب لكم». رواه ابن ماجه أحمد والترمذي، وإذا كان الدعاء مستحب في كل وقت فهو كذلك في الصلوات وعقبها، والأصل في ذلك ما روي الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوفُ الليل الآخر، ودبرُ الصلوات المكتوبات». (وقال الألباني: حسن لغيره).

وقد وردت بصيغة أحاديث فيها الأدعية التي تقال عقب الصلاة أذكر منها ما يلي:

١- الحديث الأول: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ وما أنت أعلمُ به مني، أنت المقدِم والمؤخِّر لا إله إلا أنت». وقد ثبت ذلك عن علي رضي الله عنه في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «فإذا سلَّم من الصلاة قال: اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ وما أنت أعلمُ به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت». رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان، ورواه مسلم إلا أنه ذكر هذا الدعاء بين التشهد والتسليم وليس بعده.

٢- الحديث الثاني: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحُسن عبادتك». ودليله ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيده يومًا، ثم قال: «يا معاذ، إني لأحبك». فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا أحبك، قال: أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبُر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك». رواه أبو داود والنسائي.

٣- الحديث الثالث: «ربِّ قِني عذابك يوم تبعث عبادك». وجاء ذلك في حديث البراء رضي الله عنه قال: «كنا إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نكون عن يمينه يُقبل علينا بوجه، قال فسمعته يقول: ربِّ قني عذابك يوم تبعث، أو تجمع عبادك». رواه مسلم.

وقد وردت أدعية أخرى في أحاديث ليست بالقوية، ولهذا اكتفيت بالأدعية الثلاثة المذكورة.

هذا ما وردت به النصوص من أدعية تقال عقب الصلاة، ولا يعني ذلك ألا يدعو المسلم بأي دعاء آخر يختاره عقب الصلوات، فإن الدعاء مشروع ومندوب في كل وقت وبأية صيغة، ولكن هذه الأدعية الواردة عقب الصلوات لها ميزةٌ خاصة الله سبحانه أعلم بها؛ فالأولى والأفضل الإتيان بها وتقديمها على غيرها، ثم هو بالخيار بعد ذلك بين أن يدعو بما يحقق حاجاته في دينه ودنياه وآخرته من كلمات يختارها بنفسه، وبين أن يختار من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم مما وردت به

النصوص مطلقة.

وقد أنكر بعض أهل العلم ذلك فقال: الدعاء بعد الصلاة ليس من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام وإنما هديه أن يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وإنما هديه أن يكون الدعاء قبل أن يسلم، فإن قال قائل: أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعنا على ذكرك. قلنا: بلى، ولكن المراد بدبر الصلاة هنا آخرها؛ لأن دبر كل شيء قد يكون بعده، وقد يكون منه، ولكن في آخره كما يقول دبر الحيوان؛ لأنه في مؤخره وهو منه كما في قوله: لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة. (فتاوى نور على الدرب للشيخ محمد بن عثيمين).

وهذا اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وإنما رجح أن يكون بمعنى آخرها قبل السلام من الصلاة؛ لأن الدعاء الأولى فيه أن يكون حال الإقبال على الله ومنهاجه، وإنما يكون قبل السلام من الصلاة، فلا يليق أنه إذا انصرف وسلم وأقبل على المخلوقين بعد انصرافه من خطاب الله تعالى أن يدعو الله بل اللائق أن يدعو الله قبل سلامه، لذا في الحديث بعد التشهد: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو». (انظر: شرح الزاد للحمد ٥/ ١٤٠).

قلتُ: والصحيح ما ذكرناه من مشروعية الدعاء عقب الصلاة لما ثبت في ذلك من الأدلة.

مسألة: الدعاء بعد الصلاة المكتوبة جماعة:

ورد في ذلك سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء وهذا نصه:

س: اختلف الناس في الدعاء بعد السنن الرواتب بالهيئة الاجتماعية، فئة تقول: إن ذلك لم ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة شيء، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه؛ لأنهم أحرص الناس على اتباع الحق، وفئة تقول الدعاء بعد السنن الرواتب بالهيئة الاجتماعية مستحب ومندوب، بل مسنون؛ لأنه ذِكر وعبادة وكل ذكر وعبادة لا أقل من أن يكون مستحبًا ومسنونًا، وهؤلاء يلومون الذين لا ينتظرون الدعاء، ويقومون بعد الفراغ من الصلاة.

فأجابت اللجنة: "الدعاء عبادة من العبادات، والعبادات مبنية على التوقيف، فلا يجوز أن يقال: إن هذه العبادة مشروعة من جهة أصلها، أو عددها ،أو هيئاتها، أو مكانها إلا بدليل شرعي يدل على ذلك، ولا نعلم سنة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم لا من قوله، ولا من فعله، ولا من تقريره تدل على ما ادعته الفرقة الثانية، والخير كله باتباع هديه صلى الله عليه وسلم، وهديه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب ثابت بالأدلة الدالة على ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم بعد السلام، وقد جرى خلفاؤه وصحابته من بعده ومن بعدهم التابعون لهم بإحسان، ومن أحدث خلاف هدي الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مردود عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردُ»؛ فالإمام الذي يدعو بعد السلام ويؤمن المأمومون على دعائه والكل رافع يديه- يطالب بالدليل المثبت لعمله، وإلا فهو مردود عليه، وهكذا من فعل ذلك بعد النوافل يطالب بالدليل، كما قال تعالى في مثل هذا «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»(سورة البقرة آية ١١١)، ولا نعلم دليلاً من الكتاب ولا من السنة يدل على شرعية ما زعمته الفرقة الثانية من الاجتماع على الدعاء والذكر على الوجه المذكور في السؤال. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. السؤال الثالث من الفتوى رقم (٢٢٥١).

وأيضاً فترك النبي صلي الله عليه وسلم مع قيام المقتضي وانتفاء المانع سنة والفعل بخلافه بدعة.

هذا ما تيسر جمعه فيما يتعلق بما يقال عقب الصلاة، وبقي لنا مسألتان نُرجئ الحديث عنهما إلى العدد القادم، بإذن الله، وهما كيفية التسبيح باليد، وجواز التسبيح والذكر بالمسبحة، نسأل الله العفو والعافية، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



سقوط غرناطة (٢)

إعداد: عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو سبحانه الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء، والصلاة والسلام على خير بشر أقلّته الأرض وأظلّته السماء، وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعدُ:

فهذا لقاؤنا الثاني عن سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس وبسقوطها (أي: بسقوط غرناطة) انتهت دولة الإسلام في الأندلس، والتي أضاءت أوروبا على مدى ثمانية قرون من الزمان، وترتب على سقوطها آثارٌ وخيمة وقعت على المسلمين في الأندلس وفي غيرها من بلاد المسلمين في شمال إفريقيا، بل وفي العالم بأسره، والموضوع قد يطول ويتشعب بنا، ولذلك سنحاول بعون الله إيجازه في المحاور الآتية:

أولاً: الأسباب التي أدت إلى ظهور غرناطة:

وُلِدَت مملكة غرناطة من رحم المعاناة، والمعاناة التي أقصدها هنا هي التي عبَّر عنها الدكتور عبد الرحمن الحجي بقوله: «قامت مملكة غرناطة بعد أن لاح لمُسْلِمَة الأندلس شبح الفناء، فاعتبروها ملاذًا به يحتمون واليه يلجؤون، وقد هيأ الله لهم للنجاة من فناء محقق». (من كتاب التاريخ الأندلسي، بتصرف يسير).

وهذه الظروف والأحوال التي نشأت فيها مملكة غرناطة هي التي جعلتها تستمر على قيد الحياة كمملكة ما يزيد على قرنين ونصف القرن من الزمان؛ مع الصعوبات الجمة التي كانت تحيط بها من الخارج والداخل.

ثانيًا: إطلالة سريعة على الأندلس قبل ظهور مملكة غرناطة:

يُطْلِعنا الأستاذ محمود خليل في كتابه «سقوط غرناطة» على أوضاع دولة الموحدين في آخر عمرها، وهي التي كانت تحكم الأندلس قبل السقوط، فيقول: «سقطت دولة الموحدين على يد المرنيين في المغرب الأقصى، وقد نشب صراع على السلطة والملك بين أمراء الأندلس، ودخلوا في قتال عنيف لنزع الحصون والقلاع من بعضهم البعض، وكانت مملكة قشتالة النصرانية الإسبانية تتابع ما يدور في أراضي المسلمين بواسطة أجهزة استخباراتها، والتي استطاعت أن تجنِّد رجالاً يعملون لحسابها، فرأت أن الفرصة قد حانت لتوجيه ضربة مميتة للمسلمين في الأندلس، فبدأت هجومها بالفعل، وكان احتلال قرطبة في ٢٣ شوال سنة ٦٣٣هـ/ ٢٩ يوليو ١٢٣٦م».

لقد كان سبب سقوط قرطبة المعاصي والآثام والابتعاد عن منهج الله العظيم، وبالتالي أصابهم الضعف، ودخلوا في الفوضى والنزاع والخلاف، فقادهم ذلك إلى فقد الأوطان، ومن ثم ضاعت الحضارة وضاع التراث، وبدأت مدن الإسلام الكبرى تتساقط في يد النصارى، فسقطت بلنسية عام ٦٣٦هـ، ثم شاطبة، ودانية، وفي عام ٦٤٦هـ سقطت إشبيلية، وقد كان سقوط إشبيلية إيذانًا بسقوط سائر المدن والحصون الإسلامية تباعًا، فاستولى النصارى الإسبان على شريس، وشذونة، ودس، وشلوقة، وغليانة، وغيرها، وبهذا بسط القشتاليون

النصارى الإسبان سلطانهم على سائر الأراضي الإسلامية في غرب الأندلس، وانكمشت رقعة الدويلة الإسلامية في الأندلس بسرعة مروعة». اهـ. مختصرًا.

ويلخّص لنا صاحب موسوعة المغرب العربي الأسباب الرئيسة لسقوط دولة الموحدين في الأندلس، والتي هي في الحقيقة أسباب سقوط كل دولة قديمًا وحديثًا، فيقول: «والذي يقلب صفحات تاريخ تلك الفترة من الدولة الموحدية، يدرك مدى الخزي والعار الذي لحق بديار المسلمين والاستهانة بكل القيَم والأخلاق من أجل تحقيق مصالح شخصية على حساب العقيدة والشعوب، وهكذا توضع أمور الدولة في يد أشخاص يخونون الله ورسوله وقرآنه ويخونون شعوبهم بعد أن ماتت ضمائرهم، فنجد هنا إدريس المأمون بن المنصور يزحف من الأندلس، ويقرر العبور إلى المغرب، معتمدًا على محالفة بعض العرب ومعاونة قوات مسيحية من جنود قشتالة، يقدر عددها بخمسمائة فارس مقابل التنازل عن عشرة حصون بالأندلس لملكة قشتالة، وقبوله ببناء كنيسة في مراكش تجاور جامع القرويين، وهكذا دخلت دولة الموحدين في صراع عنيف كلف الموحدين دماءً وأموالاً، وتفككًا داخليًا، وسقطت دولة الموحدين بعد فترة طويلة من الصراع والانحدار والضعف عام ٦٦٨هـ الموافق ١٢٦٩م». اهـ.

ثالثًا: مملكة غرناطة:

في ظل الأوضاع التي سبق بيانها، وسقوط دولة الموحدين وعواصم الأندلس ومدنها مدينة تلو مدينة، وفي غمرة هذه الأحداث التي كان يمكن أن تودي بغرناطة وبكل شبر من أرض الأندلس وُلِدَتْ غرناطة، ويحدثنا الدكتور حجي عن ذلك فيقول: «كانت غرناطة (إغرناطة) في الأصل- قبل الفتح الإسلامي للأندلس- مدينة صغيرة قرب مدينة إلبيرة، وتقع مدينة غرناطة على وادي نهر شنيل أحد فروع الوادي الكبير، ضمن مملكة غرناطة أيام بني الأحمر، الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية، هذه المنطقة التي استطاع الاحتفاظ بها نفر من رجال الأندلس بقيادة محمد بن الأحمر مدى قرنين ونصف القرن من الزمان بقية عمر سلطان المسلمين في الأندلس، ولقد عُدَّ من الغرائب استمرار مملكة غرناطة هذه المدة رغم صغرها وقلة عدد سكانها، مُحَافِظَةً على ما بقي من سلطان سياسي للمسلمين ووجود حضاري معطاء». اهـ.

رابعًا: أسباب ثبات غرناطة:

لم يكن من الميسور على مملكة غرناطة البقاء كل هذه المدة قرنين ونصف قرن من الزمان على قيد الحياة، بينما عوامل الفناء والإبادة تحاصرها من كل جانب، حتى لقد كان ذلك مثارًا للدهشة لعديد من الباحثين في التاريخ الحديث، ووجه الغرابة أن دولة بهذا الحجم اليسير من المساحة والأعداد البشرية تواجه القوة العددية والإمكانات الواسعة لدولة إسبانيا النصرانية والمتربصة بمملكة غرناطة تريد أن تنقضّ عليها في أيِّ لحظة، وتهلك الحرث والنسل، وتبيد خضراءها وتسفك دماء أهلها، وتقضي على البقية الباقية من الإسلام والمسلمين.

ما من شك أن هناك عوامل عدة وراء بقاء مملكة غرناطة ثابتة طيلة هذه المدة أمام عوامل الفناء، ولعل أبرزها ما يلي:

١- عامل العقيدة؛ فالمسلمون في غرناطة رغم ما حلَّ بهم من نكبات لم يفقدوا الإيمان بمصدر قوتهم وينبوع وجودهم ألا وهو الإسلام، فالأمة التي تحيا لا تموت بموت قائد أو ذهاب دولة، وإن كان هذا سببًا خطيرًا وله أهمية، لكن خسارة الأمة في عقيدتها ودينها هو مكمن الخطر الحقيقي والطاقة الكبرى، ذلك ما يسعى إليه خصوم الإسلام، وإليه توجهت سهامهم المسمومة المحمومة في كل زمان ومكان، فكانت نشأة غرناطة على أساس من العقيدة الصحيحة التي تمسَّك بها ولاة الأمر وإن شابها قصور في كثير من الأحيان حتى إذا ضعف الدين ضاعت الدولة.

٢- هناك عامل جغرافي يتمثَّل في عوامل طبيعية محيطة بغرناطة، وبُعدها نوعًا ما -كمكان- من الوقوع في يد العدو الإسباني المتربص، وقرب موقعها من المغرب العربي وعدم وجود خط فاصل يمنعهم من الاستعانة بإخوانهم في الشمال الإفريقي.

٣- كانت غرناطة ملاذًا لجميع المسلمين في الأندلس بعد سقوط دولة الموحدين وسقوط مدن الأندلس مدينة تلو الأخرى، فاجتمع بغرناطة عددٌ هائل من المهارات والكفايات من الرجال والنساء، والذين هم نتاج حضارة الأندلس على مدار العصور وكان منهم علماء في شتى الميادين، ورجال حرب وساسة

وقادة، فكانت غرناطة جامعةً لطاقات أهل الأندلس من كل لون وميدان.

تركزت في هذه البقعة من الأرض ألوان من القدرات ومعادن الهمم التي سمت بأصحابها- بفضل الله- عن الرضوخ لحياة ذليلة على حساب دينها، وعملت من أجل هذه الغاية واستعملت من أجلها كل وسيلة. (راجع: تاريخ الأندلس للدكتور عبد الرحمن الحجي ص٥١٩ وما بعدها).

هذا الذي قدمناه من عوامل الثبات والبقاء مع أهميته لا بد له من وجود قيادة مؤمنة تجمع هذه الطاقات والإمكانات نحو الهدف المنشود، وهذه القيادة تمثلت في مؤسس غرناطة ابن الأحمر- رغم ما شاب سيرته من جنوح عن السبيل أحيانًا، لذا سنعرض فيما يلي لشيء من سيرته، وأهم أعماله بشيء من الاختصار.

خامسًا: ترجمة ابن الأحمر مؤسس غرناطة وشيء من سيرته:

١- هو أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن نصر بن قبس الخزرجي، يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري أحد كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من النقباء شهد العقبة وبدرًا، وُلِدَ محمد بن يوسف في مدينة أرجونة من حصون قرطبة من جهة الشرق سنة ٥٩١هـ الموافق (١١٩٥م) كان جنديًا وافر العزم والجرأة دعا إلى لَمِّ الشمل فاجتمع حوله الكثير، وكانت بيعته لمملكة غرناطة يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة (٦٣٥هـ). وانظر: (غرناطة في ظل بني الأحمر، د. يوسف شكري فرحات ص٣١).

٢- شيء من سيرته:

«كان في أوقات السلم ينصرف إلى شؤون مملكته، فكانت له سلسلة من الأعمال المجيدة: تنظيم الشرطة والقضاء، وتطبيق القوانين العادلة التي وضعها الفقهاء، فشعر الضعيف بالحماية والطمأنينة بعد ما فتح السلطان أبوابه لأصحاب المطالب لتوقي المظالم، فكان قريبًا من شعبه، ويروي المؤرخون أنه كان يتوخى البساطة في المأكل والملبس، فيبدو في مظهره كسائر الناس». اهـ. المصدر السابق.

ويقول فيه لسان الدين بن الخطيب: «كان السلطان ابن الأحمر عظيم التجلد، رافضًا للدعة والراحة، مؤثرًا التقشف، بعيدًا عن التصنع، شديد الحزم قويًا في طلب حقه، مباشرًا للحرب بنفسه يلبس الخشن من الثياب ويؤثر الزهد». اهـ بتصرف يسير.

ونعود إلى الدكتور يوسف شكري فرحات الذي يواصل الحديث عن أخلاق وأعمال ابن الأحمر فيقول: «كانت له أوقات يختلي فيها بنفسه ويتمشى في حديقة القصر بتأمل ويفكر ويقرأ، وكانت تبدو عليه مسحة من الحزن والكآبة، ربما لأنه اضطر أحيانًا إلى محالفة أعداء المسلمين ومعاداة أبناء دينه من العرب والبربر.

من أعمال ابن الأحمر- إلى جانب بناء قصر غرناطة المشهور- أنه أنشأ مأوى للعميان ودارًا للعجزة، وبنى مستشفى كبيرًا ونشر المدارس، وأعد منازل للغرباء دون تميز بين الأديان والقوميات، وكان يتفقد أحوالهم مستترًا بعيدًا عن مظاهرًا الأبهة وعظمة الملك:

وكان يعقد مجلسًا عامًا للناس كل أسبوع، تُرفع إليه التظلمات ويشافهه أصحاب الحاجات وينشده الشعراء، وتدخل إليه الوفود، ويشاور أرباب النصائح في مجلس يحضر به أعيان الحضرة وقضاة الجماعة، كما اهتم بالحياة الاقتصادية فأقام المخازن للحبوب وسائر المواد الغذائية، وكانت توزع بأسعار عادلة». اهـ.

هذه أهم العوامل التي كانت سببًا في بقاء مملكة غرناطة مدة قرنين ونصف من الزمان تصارع أسباب الفناء المحيط بها من الخارج، فلما ضعف الحكام، وابتعدوا بنسب متفاوتة عن شرع الله والتفتوا إلى الصراع على المناصب، وعادى بعضهم بعضًا من أجل الدنيا ووالوا أعداء الله أصابتهم سُنَّة الله في خلقه، فلما تنازعوا واختلفوا ضعفت قوتهم وانكسرت شوكتهم، وسلط الله عليهم أعداءهم، فأخذوا ما في أيديهم وسلبوهم ملكهم، وانتهت دولة الإسلام في الأندلس بسقوط غرناطة، وترتب على ذلك مآسٍ ومخازٍ، وقعت على المسلمين فيما يعرف في التاريخ بمحاكم التفتيش؛ ذلك السجل الأسود في تاريخ التعصب النصراني المقيت في إسبانيا، ووقعت أمور يندى لها الجبين، وتأسف لها الإنسانية على مر التاريخ، ولم تقع هذه المخازي والمآسي على المسلمين فحسب، بل على اليهود والنصارى الذين يخالفون أهل إسبانيا في المذهب، وقد سطر المؤرخون من النصارى والمسلمين سجلات مليئة بحوادث يشيب لها الولدان يعرفها القاصي والداني، ولا يتَّسع المجال للحديث عنها في هذه العجالة، والحمد لله على نعمة الإسلام.



العقل الثالث

إعداد د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

وعدنا في مقالنا السابق أن يكون موعدنا في هذا المقال: الحديث عن العقل الثالث ووظيفته.

وقد اخترت لحديثنا في هذا المقال عن العقل المتعصب، وذلك لما نعايشه اليوم من الكثير الذين يدَّعون أنهم أصحاب عقول غالبها تقع تحت العقل المتعصب.

والعقل المتعصب هو عقل جامد في الرأي، فلا مرونة عنده في تقبُّل غيره.

اتصف هذا النوع من العقول بصفات، من أهمها:

أولاً: وقوفه عند ظاهر اللفظ:

هذا، وقد يكون اللفظ يحمل في فحواه أمرًا غير الذي في ظاهره، إلا أنه يستمسك بظاهره دون النظر لفحواه.

ثانيًا: تمسكه بمذهب معين:

فيرى صحة المذهب الذي عليه دون الأخذ في الاعتبار أن هناك مذهب آخر قد يكون أصح منه، أو حتى يعطي نفسه فرصة للنظر في آراء غير مذهبه.

ثالثًا: غلق باب الاجتهاد:

بهذا التعصب ذهب بلسان حاله-وربما بلسانه مقاله- إلى أن لا اجتهاد بعد الرأي الذي عليه، فغلق باب الاجتهاد على مذهبه.

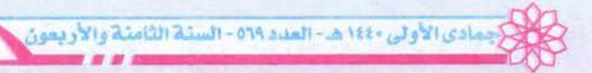
رابعًا: انطلاقه على مصادر ومراجع معينة:

نرى صاحب هذا العقل دائمًا يُحيل إلى مصادر معينة ومراجع محددة لديه، ليس له الرغبة في الحياد عنها والنظر إلى غيرها من المصادر والمراجع.

ودائمًا ما تكون هذه المراجع مختصرات، والاستمساك بها أدَّى إلى ترك الأصول لهذه الآراء، رغم العلم بأن المختصر معلوم عند أهل العلم يحتمل ويحتمل؛ لأن ألفاظه قليلة.

فهذه الصفات الغير حميدة وجب الاجتهاد في خروج هذا النوع من العقول من هذا التعصب المقيت، والجمود الذي يجعل صاحبه دائمًا ساكنًا في محل ثابت، لا يتحرك، وبالتالي لن يخرج من دائرة ما وضع نفسه فيه.

لذا لا بد من خروجه ليتفاعل مع



مجتمعه ويكون عقلاً فعالاً، وحتى يكون كذلك يجب عليه المرور بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: العودة إلى أصول السلف في الدراسة والتعلم، مع العلم أنه لا بد أن يتعلم بنفس الطريقة التي تعلم بها سلفنا، على الأقل لأنها طريقة جُربت فأنتجت لنا علمًا وأفذاذ على مر الدهور.

فطريقة الدراسة والتعليم إن صحت صح التلقي، فتكون النتيجة سليمة صحيحة.

المرحلة الثانية: تيسير المصادر له وتذليل المصطلحات:

فلا بد لفتح أفق العقل لقبول مصادر ومراجع غير التي انغلق عليها وأقفل عقله عليها، فهذا الباب واسع، فمصادر الفقه مثلاً كل يوم فيها جديد.

ومن ثَمَّ تذليل مصطلحات هذه المراجع وهذه المصادر حتى يتسنَّى الفهم السليم، فكما يقول المنطقيون: تحديد المصطلح يضعف البرهان.

أي إذا حدد العقل المصطلح جيدًا، وتعلم مُراده، علم مبتغاه، ووصل إلى المطلوب لا محالة.

والعكس، إذا حدد المصطلح خطأ سيصل إلى نتيجة خاطئة، ولا طائل من ورائها، حتى إنه إذا استمسك بها كان متعصبًا على جهل ووصل إلى الجمود.

المرحلة الثالثة: البعد عما يُسمَّى بـ«فقه ظاهرية الدليل»:

أن البعد عما يكون ناتج من ظاهر الدليل؟ فكما ذكرنا قد يحتوي الدليل في مفهومه شيئًا آخر غير الذي في ظاهره، فإذا تمسك بظاهر الدليل فقد كثيرًا من الفقه.

المرحلة الرابعة: فتح باب الاجتهاد بضوابطه الشرعية:

لا بد لهذا العقل أن يعلم أن باب الاجتهاد مفتوح، فلا يُغلقه، ويضع أمامه أن باب الاجتهاد مفتوح بضوابط في المجتهد وضوابط فيما يجتهد.

ففي المجتهد لا بد من توافر الآلية للاجتهاد، والتي يجمعها أهل العلم في: العلم بالقرآن وعلومه، والعلم بالسنة وعلومها، والعلم باللغة وعلومها، وهذا بإيجاز.

وفيما يجتهد فيه: أن تكون المسائل التي يجتهد فيها تقبل الاجتهاد، فلا تكون من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة أو من المسائل المجمع على حكم الشرع فيها.

فإن توفرت هذه الضوابط فباب الاجتهاد مفتوح بلا تعصب ولا جمود.

المرحلة الخامسة: تكوين الملكة الفقهية:

وهذه المَلَكة لا تتوفر إلا إذا انفتح العقل الفقهي على المذاهب والآراء الفقهية، تلك الثروة الهائلة من الآراء والمذاهب التي تركها أئمتنا سلفًا، فما زلنا ننهل منها إلى الآن، وستكون حتى قيام الساعة.

فالانفتاح على هذه المذاهب والآراء تجعل العقل الفقهي يطوف عليها ويجمع بينها وينظر في أدلتها ودلالاتها، ويبين الراجح من المرجوح منها.

المرحلة السادسة: دراسة المذاهب الفقهية جميعها بلا تعصب:

حتى تؤتي أكلها هذه الدراسة يشترط فيها أن لا تكون فيها تعصب، فالدراسة تكون بحيادية تامة، ينظر لها ولأدلتها ولدلالتها بإنصاف دون التعصب لرأي أو لصاحب رأي، وهذا الإنصاف سيؤدي بالعقل الفقهي إلى نتيجة سليمة صحيحة.

بهذا نصل بالعقل المتعصب إلى باب السلامة، ويخرج عن هذه الدائرة، ويكون من العقول السليمة التي تؤثر في مجتمعها.

ولهذا سيدور بنا الكلام في المقالة القادمة بإذن الله تعالى على العقل المؤثر والمتأثر.

فإلى لقاء قادم بإذن الله تعالى، سائلين المولى سبحانه أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

الإسلام يشجع على العمل ويحل مشكلة الفقر والبطالة

جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من مميزات الدين الإسلامي شمولية أحكامه لكل نواحي الحياة وجوانبها؛ إذ إن تشريعات هذا الدين العظيم شملت كل ما يحتاجه البشر، سواء أكان في المعاملات أم العبادات أم غيرهما، فما من خير إلا وقد دلّ الناس عليه، وما من شرّ إلا وحذرهم منه، لذلك كانت شريعة الإسلام صالحة لكل زمانٍ ومكان؛ فأحكام الإسلام وتشريعاته تستوعب مختلف المسائل والقضايا التي تستجد في واقع الناس وحياتهم.

فمنذ بدء الخليقة ظهرت الحاجة إلى العناية بالعائلة، أو القبيلة، أو القرية، أو المجتمع، أو الدولة، وقد شجع الإسلام أبناءه على العمل، ونبذ الخمول، والبطالة، والكسل، فكما دعاهم إلى الصلاة والمحافظة عليها فقال: « حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ » (البقرة: ٢٣٨)، قال جل وعلا: « فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الجمعة: ١٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا شَابٌّ مِنَ الثَّنِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ بِأَبْصَارِنَا قُلْنَا: لَوْ أَنَّ هَذَا الشَّابَّ جَعَلَ شَبَابَهُ وَنَشَاطَهُ وَقُوَّتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّه. قَالَ: فَسَمِعَ مَقَالَتَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « وَمَا سَبِيلُ اللَّهِ إِلَّا مَنْ قُتِلَ؟ مَنْ سَعَى عَلَى وَالِدَيْهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيُعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى التَّكَاثُرِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ » (السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٤٣. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٧٢/٥: إسناده جيد).

وهكذا شجع الإسلام العمل والعاملين ورفع من شأنهم وجعل سعي المسلم على رزقه أو أي أحد من أهله كل ذلك في سبيل الله؛ لأن ذلك مصدر عفة المسلم ورفع شأنه وعدم تعريضه للفقر والحاجة وسؤال الناس.

وقد كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الفقر والحاجة؛ فعَنْ مُسْلِم بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ » مسند أحمد (٣٤/ ١٧) وإسناده قوي.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ» فَقَالَ رَجُلٌ وَيَعْتَدِلَانِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». سنن النسائي (٧/ ٢٢١) صحيح.

يعني: أن الكفر شئ فظيع جداً، فهل يوضع الفقر بجواره في الاستعاذة منه؟

مظاهر وأضرار الفقر والبطالة:

١. استحلال أكل أموال الناس بالباطل.

٢. انتشار الحقد والحسد والأنانية، وحب النفس، والحرص الشديد على جمع المال.

٣. ضعف المجتمع وتأخره.

٤. تحكم الأقوياء فيه والسيطرة عليه.

٥. التفكك الأسري وكثرة حالات الطلاق.

٦. انتشار التسول، والنصب، والسرقات ،والجريمة.

٧. عدم الرضا والقناعة.

٨. ضياع الأخلاق والسلوكيات والعقائد.

وأما الأثر الناجم عن البطالة والتعطل عن العمل غير التسول فهو الاتجاه إلى الجريمة طلبًا للمال، وهذا الأثر أخطر بكثير من التسول؛ لأنه إن كان المتسول يأخذ من مال الغير برضاه، فإن السارق يأخذ المال عنوة وربما قتل ليصل إلى ما يريد من المال، ومن هنا تنتشر الجريمة وتصبح حياة الناس وأموالهم وأعراضهم في خطر من هؤلاء المجرمين المتعطلين. وقد أثبتت الدراسات والبحوث أن أكثر الذين يرتكبون الجرائم في هذه الأيام هم من العاطلين الذين أخفقوا في الحصول على عمل، وكذا الذين أخفقوا في دراستهم وعجزوا أن يشغلوا أنفسهم بالحق فشغلتهم بالباطل.

ومن هنا تتضح عظمة الإسلام حين حضَّ على العمل ورغَّب الناس فيه، وجعل السعي على الرزق شبيهًا بالجهاد في سبيل الله تعالى.

أسباب الفقر والبطالة:

أولًا: منها شيء كتبه الله تعالى على العبد لا دخل للعبد فيه كما قال سبحانه: « ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ »(الرعد: ٢٦). وقال: « إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا »(النساء: ١٣٥).

ثانيًا: قد يكون الإنسان متسببًا في إفقار نفسه ومن حوله؛ وأسباب ذلك الآتي:

١. العكوف على الدنيا وصرف الهمة كلها إليها، كما قال صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِه مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» (سنن الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني).

وفي سنن الدارمي (١/ ٣٥٥) عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: « مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا، فَمَنْ تَكُنِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، وَبَثَّهُ، وَسَدَمَهُ، يَكْفِي اللَّهُ ضَيْعَتَهُ، وَيَجْعَلُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَمَنْ تَكُنِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، وَبَثَّهُ، وَسَدَمَهُ، يُفْشِي اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَجْعَلُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ لَا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا، وَلَا يُمْسِي إِلَّا فَقِيرًا » (تعليق المحقق): إسناده صحيح إلى الحسن، والسَّدَمُ: التعلق بالشئ.

٢. الإعراض عن شرع الله: قال تعالى: « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ »(طه: ١٢٤). وقال تعالى: « فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ »(سبأ: ١٦).

٣. التعامل بالربا: قال تعالى: « يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ »(البقرة: ٢٧٦). وقال جل شأنه: « وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ »(الروم: ٣٩).

٤. اتباع خطوات الشيطان: قال تعالى: « ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ »(البقرة: ٢٦٨).

٥. فتح باب سؤال الناس (التسول): قال صلى الله عليه وسلم: «وَلا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» (مسند أحمد ٣/ ٢٠٨. حسن لغيره).

٦. دعاء المظلوم: خاصة إذا دعا على ظالمه بالفقر في صحيح البخاري (١/ ١٥١) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ «فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ،

فَأَرْكدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ فقير مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ».

٧. عدم شكر نعمة الله تعالى. قال تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ» (النحل: ١١٢).

٨. كثرة الذنوب والمعاصي. في سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٣٤) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ». (تعليق محمد فؤاد عبد الباقي) في الزوائد: إسناده حسن.

٩. عدم الصدق بين البائع والمشتري: في صحيح البخاري (٣/ ٥٩) ومسلم: عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا،- أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا «.

١٠. السفه في إنفاق الأموال. أ- وذلك بشرب المحرمات. ب – الإسراف في نفقات الأفراح والمآتم. ج – الغلو في المهور وإنفاقها جزافًا.

١١. انتشار الأمراض الاجتماعية: كالطلاق، والشكايا في المحاكم واستنزاف الأموال في ذلك، وتعدد الزوجات مع قلة الشيء.

١٢. المفاهيم الخاطئة: ١ - في النظر إلى العمل والمهنة ٢. ترك الأسباب بدعوى التوكل، والله تعالى يدعو للأخذ بالأسباب، فقال لمريم عليها السلام: «وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا × فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا» (طه: ٢٥-٢٦). وقال جل شأنه: « فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة: ١٠).

وكل سبب مما مضى كاف لإفقار بلد فكيف إذا اجتمع كثير من هذه الأسباب في دماغ واحدة. أو أمة واحدة؟

علاج الشرع لمشكلة الفقر والبطالة:

لقد اهتم الإسلام بعلاج هذه المشكلة اهتمامًا بالغًا حفاظًا على المجتمع المسلم من أخطارها الأخلاقية والسلوكية والعقائدية، ومن مظاهر هذا الاهتمام:

١. تشجيع الناس على مزاولة المهن والأعمال والصناعات:

فحثهم الشرع على أن يختار كل إنسان ما يناسب قدراته ومهاراته من عمل طيب، قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ» (الملك: ١٥). وقال: «وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء: ١٠٠).

ومدح الآكل من عمل يده: فعَن المقدام بن معد يكرب رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: «مَا أكل أحد طَعَامًا خيرًا من عمل يَدَيْهِ، إن نَبِي الله دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُل من عمل يَده» أخرجه البُخَارِيّ.

وعَن عَائِشَة رَضِي الله عَنهَا قَالَت: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: « إن أطيب مَا أكل الرجل من كسب يَده، وإن وَلَده من كَسبه» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ، وَابْن مَاجَه.

وَعَن الزبير بن الْعَوام رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لَان يَأْخُذ أحدكُم أحبله فَيَأْتِي بحزمة من حطب على ظَهره فيبيعها فيكف بهَا وَجهه خير لَهُ من أن يسْأَل النَّاس أعطوهُ أم منعُوهُ. رَوَاهُ البُخَارِيّ وَابْن مَاجَه وَغَيرهمَا.

وقَالَ رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «كَانَ زَكَرِيَّا- عليه السلام- نَجَّارًا». رواه مسلم.

قال ابن القيم رحمه الله: «التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين، فقد كان آدم عَلَيْه السلام حراثًا، ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطًا، وإبراهيم ولوط زارعين، وصالح تاجرًا، وكان سُلَيْمَان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه، وكان مُوسَى وشعيب ومحمد رعاة؛ صلوات الله عليهم أجمعين». (تلبيس إبليس ص: ٢٥٠).

وعبد الرحمن بن عوف وهو عاشر العشرة المبشرين بالجنة؛ كان تاجر حبوب ودقيق حتى صار من أغنى المهاجرين، وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يبيع الجلود المدبوغة في السوق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به ويشجعه ويدعو له بأن يبارك الله له في تجارته.

ومثله الصحابي الجليل عروة البارقي قال «عَرَضَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَبٌ، (وهي الغنم المجلوبة للبيع في السوق) فَأَعْطَانِي دِينَارًا، فَقَالَ: « أَيْ عُرْوَةُ ائْتِ الْجَلَبَ « فَاشْتَرِ لَنَا شَاةً، قَالَ: فَأَتَيْتُ الْجَلَبَ، فَسَاوَمْتُ صَاحِبَهُ، فَاشْتَرَيْتُ مِنْهُ شَاتَيْنِ بِدِينَارٍ، فَجِئْتُ أَسُوقُهُمَا، أَوْ قَالَ: أَقُودُهُمَا، فَلَقِيَنِي رَجُلٌ، فَسَاوَمَنِي فَأَبِيعُهُ شَاةً بِدِينَارٍ، فَجِئْتُ بِالدِّينَارِ وَجِئْتُ بِالشَّاةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا دِينَارُكُمْ، وَهَذِهِ شَاتُكُمْ، قَالَ: « وَصَنَعْتَ كَيْفَ؟ « فَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقِ يَمِينِهِ « فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقِفُ بِكُنَاسَةِ الْكُوفَةِ فَأَرْبَحُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى أَهْلِي. وَكَانَ يَشْتَرِي الْجَوَارِيَ وَيَبِيعُ». مسند أحمد (٣٢/ ١١٠) وإسناده صحيح.

وامرأة أبي أسيد التي صنعت الطعام للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه يوم دعاهم زوجها أبو أسيد يوم زفافها عليه يوم عرسها فكانت هي خادمهم وهي العروس.

عن سهل بن سعد هو الساعدي، قَالَ: « لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فما صنع لهم طعامًا ولا قربه إليهم، إلا امرأته أم أسيد بلت تمرات في تور من حجارة من الليل، فلما فرغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطعام أماثته له، فسقته تتحفه بذلك» (أسد الغابة ٧/ ٢٨٨).

وأَسْمَاء بِنْتَ أَبِي بَكْر قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مَالٌ وَلا مَمْلُوكٌ وَلا شَيْءٌ غَيْرَ فَرَسِهِ. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لفرسه وَأَعْلِفُهُ وَأَسْقِيهِ الْمَاءَ وَأَخْرُزُ غَرْبَهُ (وهي خياطة الجلود) وَأَعْجِنُ وَلَمْ أكن أحسن أخبز فكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَار وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ. قَالَتْ: وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ. قَالَتْ: فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَعَا لِي ثُمَّ قَالَ: إِخْ إِخْ. لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ. فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ. قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَغْيَرِ النَّاسِ. قَالَتْ فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى. فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَنَاخَ لأَرْكَبَ مَعَهُ فَاسْتَحْيَيْتُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ. فَقَالَ: وَاللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ. قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ فَكَفَتْنِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي. (الطبقات الكبرى: ٨/ ١٩٧).

وكانت أسماء بنت عميس رضي الله عنها بعد وفاة زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه تدبغ الجلود ليبيعها أولادها بالسوق.

وكانت عائشة رضي الله عنها تعجن عجينها ويساعدها النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت زوجة أبي الهيثم بن التيهان تعمل مع زوجها في نخله وغنمه وحدها معه، فلما أعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم خادمًا للمساعدة وأوصى بإكرامه قالت لزوجها: اعتقه حتى تنفذ وصية رسول الله في إكرامه.

والمرأة الأنصارية التي استقبلت النبي صلى الله عليه وسلم وبسطت له الفراش تحت النخيل ورشت حوله وذبحت له طعامًا فأكل هو وأصحابه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الحلقة (٢٢٣)

قصة جبريل عليه السلام والهريسة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد علي حشيش

أولاً: أسباب البحث في هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في كتب السنة الأصلية يجعل كثيرًا من القراء والقصاص والوعاظ يتوهمون أن القصة صحيحة.

٢- كتب السنة الأصلية: هي التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- عامة القراء لا يفرقون بين التخريج والتحقيق فيتوهمون من مجرد العزو لإمام من أئمة الحديث الصحة، ولذلك كان لا بد من تخريج هذه القصة وتحقيقها.

٤- إن هذه القصة تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم صاحب أعظم خلق كما هو مبين في قول الله تعالى: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:٤)، مقرونًا بأعلى مراتب العلو في الأخلاق.

٥- فكيف بمن هذا خلقه عندما نزل عليه جبريل عليه السلام يناقشه النبي صلى الله عليه وسلم في مسائل جنسية- كما سنبين في المتن- بأن النبي صلى الله عليه وسلم شكا إلى جبريل قلة الجماع. انظر كيف سولت لهؤلاء الوضاعين أنفسهم أن يفتروا على خير البرية، «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف:٥).

وإن تعجب فعجب أن توجد مثل هذه الفرية في بعض الكتب المسندة، والعوام لا يعرفون أن من أسند فقد أحال، ليكشف أهل الصناعة الحديثية عن عارها ويبينوا عوارها، وكذلك الزنادقة يتخذون من هذه القصة وأمثالها لو اطلعوا عليها لجعلوا منها أفلامًا يصورون فيها أطهر العالمين شهوانيًا كما صوروا من قبل أفلامًا تسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقصص واهية، وهي محاولة ترديه وانتحاره من قمم الجبال، وسنبين في هذا البحث هذا الكذب

المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد بلغ من إفكهم أنهم ليقولون: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم عندما شكا إلى جبريل قلة الجماع تبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنايا جبريل، كما سنبين في المتن!!

انظر إلى هذا الهزل الذي ليس له إلا هذا الوعيد الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٢٠) من حديث سلمة بن الأكوع قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يقل عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار».

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن أبي هريرة قال: «شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل قلة الجِماع، فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثنايا جبريل، ثم قال: يا رسول الله، أين أنت من أكل الهريسة؟ قال: فإن فيها قوة أربعين رجلاً».

قلت: غريب ألفاظ الحديث: «ثنايا جبريل». الثنايا: جمع الثنية وهي إحدى الأسنان الأربع التي في مقدم الفم اثنتان من فوق، واثنتان من تحت، كذا في «المعجم الوجيز» (ص٨٨) لمجمع اللغة العربية، وقال ابن منظور في «لسان العرب» (١٢٣/١٤): «ثنايا الإنسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه: ثِنْتان من فوق، وثنتان من أسفل».

ثالثا: التخريج:

١-أخرجه الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ في كتابه «الطب النبوي» (٤٦٩/٢) (ح٤٤٥) قال: أخبرنا أحمد بن محمد في كتابه، حدثنا علي بن الحسن بن قديد، حدثنا محمد بن إسحاق الصيني، حدثنا إبراهيم بن محمد الفريابي، حدثنا عمرو بن بكر السكسكي، حدثنا أرطاة بن المنذر، عن مكحول عن أبي هريرة قال: شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل قلة الجماع...» الحديث.

٢- وأخرجه أبو القاسم خلف ابن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة (٥٧٨هـ) في كتابه «الآثار المروية في الأطعمة السرية» (ح٢٤)- أضواء السلف في الرياض- قال: أخبرنا أبو الحسن بن مغيث، إذنًا عن أبي عمر أحمد بن محمد بن يحيى، عن أبيه، حدثنا عيسى بن حبيب القاضي، حدثنا أبو الفضل جعفر بن أحمد بن عبد السلام، حدثنا محمد بن جناد، حدثنا إبراهيم بن محمد الفريابي، عن عمرو بن بكر السكسكي، حدثنا ارطاة بن المنذر، عن مكحول عن أبي هريرة قال: شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل قلة الجِماع...» الحديث.

٣- وأخرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧/٣): أنبأنا محمد بن ناصر، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، أنبأنا عبد الباقي بن أحمد الواعظ، أنبأنا محمد بن علان، حدثنا أبو الفتح الأزدي، حدثنا عبد العزيز بن محمد بن زياله، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا عمرو بن بكر، عن أرطاة عن مكحول عن أبي هريرة قال: «شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل قلة الجِماع...» الحديث.

٤- وأورده السيوطي في «اللآلئ» (٢٣٦/٢) من طريق إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا عمرو بن بكر، عن أرطاة عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعًا.

رابعًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به

هذه القصة الواهية علته: عمرو بن بكر السكسكي:

١- قال الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٤٩١٥/١٧٨/١٤): عمرو بن بكر بن تميم السَّكْسَكِيُّ الشامي:

روى عن أرطاة بن المنذر وآخرين، وروى عنه إبراهيم بن محمد الفريابي وآخرون». اهـ. وهذا ينطبق تمام الانطباق على سند هذا الخبر كما هو مبين من التخريج.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٧٨/٢): «عمرو بن بكر السكسكي من أهل الرملة يروي عن الثقات الأوابد والطامات التي لا يشك من هذا الشأن صناعته أنها معمولة أو مقلوبة لا يحل الاحتجاج به». اهـ.

٣- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٤٦/٥) (١٣١٠/٣٤٢): «عمرو بن بكر السكسكي له أحاديث مناكير عن الثقات». اهـ.

٤- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٣٣٧/٢٤٧/٣): «عمرو بن بكر السكسكي الرملي: «واهٍ». ثم ذكر له أحاديث من واهياته. ثم قال: «أحاديثه شبه موضوعة». اهـ.

٥- وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٦٦/٢): «عمرو بن بكر بن تميم السكسكي الشامي: متروك».

وعلة أخرى وهي السقط في الإسناد: فهذا الخبر الذي جاءت به القصة كما هو مبين من التخريج من طريق عمرو بن بكر عن أرطاة عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعًا.

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٧٩٣): «سألت أبا زرعة: هل لقي مكحول أبا هريرة؟ قال: لا، لم يلق مكحول أبا هريرة». اهـ.

٢- ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٥٩/١٠): أنَّ أبا بكر قال: «روى مكحول عن جماعة من الصحابة عن عبادة وأم الدرداء وحذيفة وأبي هريرة وجابر ولم يسمع منهم وإنما أرسل عنهم ولم يقل في حديث عنهم حدثنا». اهـ.

قلت: من أقوال هؤلاء الأئمة يتبين أن مكحول لم يلق أبا هريرة ولم يسمع منه، وهذا النوع يسمى في علوم الحديث: «المرسل الخفي».

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج من أقوال أئمة الجرح أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة موضوع، والموضوع كما بينه الإمام السيوطي في «التدريب» النوع (٢١) قال: «هو الكذب المختلق المصنوع». وبيَّن ورتبته فقال: «هو شر الضعيف وأقبحه». ثم بين حكم روايته فقال: «وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

قلتُ: لقد تبين من تعريف الحديث الموضوع: أنه هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ينطبق تمام الانطباق على علة هذا الخبر، وهو عمرو بن بكر السكسكي الذي يروي عن الثقات الأوابد والطامات التي لا يشك من هذا الشأن صناعته أنها معمولة أو مقلوبة لا يحل الاحتجاج به كما بين ذلك الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين»، والإمام الحافظ الذهبي، وبين أنه واهٍ وأحاديثه شبه موضوعة كما ذكرناه آنفًا، ويزداد هذا الخبر الباطل وهنًا على وهن، مما بيناه من السقط الخفي في الإسناد، حيث إن مكحول لم يلق أبا هريرة ولم يسمع منه كما بينا من أقوال أئمة الجرح والتعديل.

وبهذا يتبين بطلان قصة شكوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل قلة الجماع، وتبسم جبريل حتى ظهر بريق ثناياه! بل من كذبهم قولهم: إن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «أين أنت من أكل الهريسة فإن فيها قوة أربعين رجلاً».

سادساً: فرية أخرى:

«هريسة الجنة»: وهذه فرية أخرى حول تقوية النبي صلى الله عليه وسلم في الجماع، ففي القصة التي جاءت من حديث أبي هريرة وصف جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الهريسة، وفي هذه الفرية جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم بهريسة من الجنة، وهذا هو التخريج والتحقيق لهذه الفرية.

أخرج الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي في «الكامل» (٣/٣١٢) (٧٧٢/٤٠) قال: حدثنا الحسين بن أبي معشر، حدثنا أيوب الوزان، حدثنا سلام بن سليمان، حدثنا نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل بهريسة من الجنة فأكلتها فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع».

التحقيق:

وعلة هذا الخبر الباطل الذي يتخذه من لا دراية له بالصناعة الحديث شاهدًا للقصة الواهية والتي بينا بطلانها، هو سلام بن سليمان بن سوار الثقفي المدائني الضرير، ويقال له الدمشقي يكنى أبا المنذر، وإنما قيل له الدمشقي لمقامه بدمشق حدث عنه أهل دمشق.

١- قال الإمام الحافظ ابن عدي: هو عندي منكر الحديث.

٢- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/١٧٨/٣٣٤٦)، ونقل قول الإمام ابن عدي بأنه منكر الحديث، وقال سرد له الإمام ابن عدي ثمانية عشر حديثًا منكرًا منها هذا الحديث المنكر ولا يتابع على حديثه.

وعلة أخرى شيخه: نهشل:

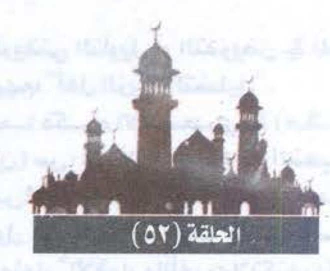
١- قال الإمام الحافظ الذهبي في «الميزان» (٤/٢٧٥/٩١٣٧): «نهشل بن سعيد البصري عن الضحاك بن مُزاحم وغيره، قال إسحاق بن راهويه: كان كذابًا، وقال أبو حاتم والنسائي: متروك، وقال يحيى والدارقطني: ضعيف».

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣/٥٢): «نهشل بن سعيد بن وردان الخرساني من أهل نيسابور كان أصله من البصرة يروي عن الضحاك بن مزاحم، كان ممن يروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب، كان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يرميه بالكذب». اهـ.

٣-وأورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٠/٤٢٧) وقال: «نهشل بن سعيد بن وردان روى عن الضحاك بن مزاحم قال أبو داود الطيالسي وإسحاق بن راهويه: كذاب، وقال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة: ليس بثقة. وقال الحاكم: روى عن الضحاك المعضلات، وقال أبو سعيد النقاش: روى عن الضحاك الموضوعات». اهـ. وهذا فيها.

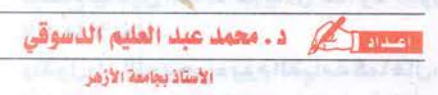
وهكذا حفظ الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من كذب الكذابين وافتراء الواضعين بهذا العلم علم الإسناد الذي هو خصيصة هذه الأمة، فقد أخرج الإمام مسلم في «مقدمة الصحيح» قال الإمام ابن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.



قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

أبو الحسن الأشعري - خلافا لمن يدَّعون شرف الانتساب إليه - يثبت لله تعالى صفات: (النزول والمجيء والإتيان).. ويطلق على مخالفيه ألقاب: (أهل البدع، والزيغ، والتضليل)


إعداد
د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى غير ما يدين به متأخرو الأشاعرة ممن يدَّعون شرف الانتساب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، وهم لا زالوا يتمسكون بمذهبه الذي كان عليه إبان مرحلة تأثره بالمعتزلة والتي استمرت قرابة الأربعين سنة، وبعدها بمرحلة تأثره بعبد الله بن سعيد بن كلاب القطان التي استمرت قرابة الثلاث سنوات.. أخذ الأشعري ت٣٢٤ منحىً مغايرًا بعد أن ثاب إلى رشده، وجعل يُمَحِّض طريقته بالرجوع إلى مذهب السلف، ويقول بما يقول به العالم الرباني أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني كما صرح هو بذلك في مقدمة كتابه (الإبانة)، ويؤمن ويقرُّ بأن لله تعالى (نزولاً ومجيئاً وإتياناً) يليق بجلاله وعظمته.

وقد سبق أن ذكرنا تلك الأطوار التي مر بها ونقلنا في ذلك كلام أهل العلم قديماً وحديثاً، ونكتفي هنا بالتذكير بما قاله الحافظ ابن كثير، فقد جاء في كتابه (طبقات الشافعية) ١/ ٢٠٥ ما نصه: قد "ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أطوار:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة..

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبع، وهي: (الحياة، والعلم، والقدرة، والارادة، والسمع، والبصر، والكلام)، وتأويل الخبرية كـ (الوجه، واليدين، والقَدَم، والساق)، ونحو ذلك.. والحال الثالثة: إثبات ذلك كله على الوجه اللائق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه، جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخرًا"، ويُراجَع إلى جانب ذلك الحلقات: (٢٠، ٢٦، ٤١، ٤٢).

والمهم، أنه ومع هذا التصريح والتفصيل لأطوار الأشعري، إلا أن أصحابه والمنتسبين إليه لم يلتزموا بمنهجه الأخير الذي رجع فيه إلى مذهب السلف وألف فيه الكتب النافعة، وجعلوا يتبنَّون ولا زالوا المراحل التي كان فيها يتأول

الكثير من الصفات.

أ- الأشعري يثبت صفات (النزول ،والمجيء، والإتيان) وفقا لما كان عليه النبي والصحابة ومن تبعهم بإحسان

لقد أثبت الأشعري بالحجج والبراهين العقلية قبل النقلية في كتبه (الإبانة)، و(مقالات الإسلاميين)، و(رسالة أهل الثغر)، حقائق أسماء الله وصفاته بعد أن نفى عنها مماثلة الحوادث ومشابهة المخلوقات، فجاء مذهبه ومذهب من تأثر بهم وأثر هو فيهم، هُدى بين ضلالتين، يُثبتون لله صفاته العليا بحقائقها لكونها الثابتة له عن طريق الوحي، وهم في ذات الوقت لا يكيِّفون ولا يؤولون شيئاً منها، إذ لا سبيل للعقل إلى معرفة كنهها وكيفياتها.. ومما قال في الإبانة ص٥٣ فيما نحن بصدده: "ونصدق بجميع الروايات التي يُثبتها أهل النقل عن النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب يقول: (هل من سائل؟، هل من مستغفر؟)، وبسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافاً لما عليه أهل الزيغ والتضليل، ونعوّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم..

ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/ ٢٢)، وأن الله يقرب من عباده كيف شاء بلا كيف كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ق/ ١٦)، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم/ ٨، ٩)"، ويفاد منه التأكيد على اتصاف الله بصفة النزول وذلك قوله: "وأن الرب يقول"، كذا بما يعني: أنه سبحانه بنفسه الذي ينزل فينادي عباده، لا مَلك ولا غيرُه، كما يفاد منه إثبات صفات: (المجيء، والقرب، والدنو) الوارد ذكرها في آي التنزيل على النحو الذي يليق بجلاله تعالى وعظمته.

وقد كرر الأشعري ذلك ص٨٦ من نفس المصدر وعدَّ قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/ ٢٢)، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (البقرة/ ٢١٠)، ضمن ما يُستدل به على استوائه تعالى على عرشه، وذلك كله بعد أن تبرأ من مخالفيه ممن ارتضوا طريقتي التأويل أو التفويض في المعنى، وأطلق عليهم: "أهل الزيغ والتضليل".

هذا، ومما ذكره الأشعري في (مقالات الإسلاميين) ص٢٩٠: ٢٩٧ وساقه له الذهبي في (العلو) ص١٥٩، ما جاء تحت عنوان: (حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة)، فقد ذكر منها: "الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يردُّون من ذلك شيئًا.. ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: (هل من مستغفر؟) كما جاء في الحديث، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال عز وجل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (النساء/ ٥٩)، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله، ويُقرُّون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/ ٢٢)، وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق/ ١٦).

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المأكل والمشرب".. فما أجملها من صفات وأجمل بها؛ وما أحرانا أن نتمسك بهذه المبادئ التي أعلى -رحمه الله- من قدرها!.. وبخاصة مع إقراره لكل ذلك وقوله بعده: "فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله" ا.هـ.

وكان مما قاله قبل ذلك بنفس المصدر وتحديداً ص٢١١، ونقله عن أهل السنة وأصحاب الحديث معتقداً إياه: "وأنه تعالى ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ (طه/ ٥)، لا نقدم بين يدي الله في القول، بل نقول استوى بلا كيف.. وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر/ ٢٢)، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا

شيئاً إلا ما وجدوه في الكتب أو جاءت به الرواية عن رسول الله".

ثم جعل ينقل على إثر ذلك مقولات المعتزلة وتأويلاتهم وأن منها قولهم: "إن الله استوى على عرشه، بمعنى: استولى"، ومنها اختلافهم في المكان "فقال قائلون: (إن الله بكل مكان بمعنى أنه مدبر لكل مكان)، وقال قائلون: (الباري لا في مكان بل هو على ما لم يزل عليه)، وقال قائلون: (الباري في كل مكان بمعنى أنه حافظ للأماكن، وذاته مع ذلك موجودة بكل مكان).. وقال قائلون: (حركة الباري غيره)، واختلف القائلون في أن الباري يتحرك على مقالتين: فزعم هشام أن حركة الباري هي فعله الشيء.. وأجاز عليه (السكّاك): الزوال"، كذا بما يعني اتصافه تعالى بالحوادث والحركة والزوال والجسمية؛ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

بل لقد ساق الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر ص٢٢٧ الإجماع على إثبات (النزول، والمجيء، والإتيان) إلى الله، فقال في الإجماع الثامن ما نصه: "وأجمعوا على أنه تعالى يجيء يوم القيامة، والملك صفا صفا لعرض الأمم، وحسابها، وعقابها، وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين ويعذب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً، وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم، ولا جوهر، لم يجب أن يكون مجيئه نُقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: (جاءت زيداً الحُمى) أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهراً، وإنما مجيئها إليه وجودها به؛ وأنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كما روى عن النبي عليه السلام، وليس نزوله نقلة، لأنه ليس بجسم ولا جوهر وقد نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم عند من خالفنا"..

كذا بما يؤكد إثبات الأشعري لأفعال وصفات (المجيء والنزول)، وبما به تقام الحجة على من خالفه، وبما يوضح أن مجيئه تعالى ليس كمجيء البشر، بمعنى: أنه لا يترتب عليه ما يترتب على مجيء البشر، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته.. ولم يكتف الأشعري بذلك حتى نفى عن مجيئه سبحانه مماثلة الحوادث، وما قاله في المجيء قاله في النزول، فالكل عنده من باب واحد وبه جاء الخبر عن الله ورسوله.

ب- استلزام إثبات الأشعري إمام المذهب رد مقولة مبتدعة المؤولة والمفوضة، والتبرؤ من مخالفيه: وقد سبق للأشعري أن أكد في الإجماع الثاني على نفي المماثلة والمشابهة عن الله وصفاته، فقال بنفس المصدر ص٢١٠ ما نصه: "وأجمعوا على أنه تعالى غير مُشْبه لشيء من العالم، وقد نبه تعالى على ذلك بقوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) (الشورى: ١١)، وقوله: (وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ) (الإخلاص/ ٤)، وإنما كان ذلك كذلك، لأنه تعالى لو كان شبيهاً لشيء من خلقه، لاقتضى من الحَدَث والحاجة إلى مُحدث له ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه؛ أو اقتضى ذلك: قِدَم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الأدلة على حَدَث جميع الخلق واستحالة قِدَمه، وليس كونه تعالى غير مُشْبه للخلق ينفي وجوده، لأن طريق إثباته: كونه عز وجل على ما اقتضته العقول من دلالة أفعاله عليه، دون مشاهدته".

كما أكد في الإجماع العاشر بنفس المصدر: على نفي الكيفية عن جميع صفاته الخبرية والفعلية، و"على وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه، من غير اعتراض فيه ولا تكيف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم"، فاستقام له -رحمه الله- مع إثبات ما لله من صفات: نفي التأويل والتفويض في معاني ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، كما أوضح ما يجب أن يتمسك به كل من يريد أن يحاكيه في عقيدته وينال شرف الانتساب إليه، وإلا فالأشعري بريء من كل من خالف مذهبه ولم يسلك طريقه الذي هو طريق بقية سلف الأمة، ومن قبل طريق النبي وصحابته وتابعيهم بإحسان.

ولا دلالة لترسيخ الأشعري لمعتقد السلف في صفات الله الخبرية والفعلية، واستشهاده على ذلك بقرائن اللغة والعقل والنقل، سوى إعلان الحرب على الجهمية والقدرية ومن ارتضى منهجهم من المتكلمة، بل وإعلانها على كل من

لا يزال على مذهبه قبل الأخير من القائلين بتأويل الصفات أو تفويض معانيها، وعلى سائر من لم يرجع إلى ما رجع إليه من مذهب الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وقد رأينا قبل كيف سمى وأطلق على هؤلاء جميعاً وصف: "أهل الزيغ والتضليل".. وعلى من اختلط عليه الأمر فظن أنه على مذهب الأشعري وهو في حقيقة أمره ليس كذلك: أن يراجع نفسه؛ ذلك أن إقرار الأشعري بما لله من الصفات الخبرية والفعلية على النحو الذي ذكرناه له آنفاً، لا يعني سوى: إثباتها له تعالى على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تفويض، وتبرئته من كل من يقول بذلك أو يعتقده.

ولا أدل على ذلك من قوله في الإبانة ٤٦ تحت (فصل في إبانة قول أهل الزيغ والبدع): "إن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر، مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين"، إلى أن قال معدداً ضلالاتهم: "ونفوا ما رُوي عن رسول الله: (أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا) وغير ذلك مما رواه الثقات عنه، وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية: أهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة وما كان عليه النبي وأصحابه وأجمعت عليه الأمة".

ولا أدل عليه كذلك من قوله في الإجماع الخمسين: "وأجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبري منهم وهو الروافض والخوارج والمرجئة والقدرية، وترك الاختلاط بهم، لما روي عن النبي في ذلك، وما أمر به الله من الإعراض عنهم في قوله: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) (الأنعام/ ٦٨)"؛ ذلك أن هؤلاء جميعاً، ممن تأولوا صفاته تعالى الخبرية والفعلية فحرفوا فيها الكلم عن مواضعه.

وما يمكن أن نؤكده الآن: أن أهل الكلام قد افتروا على الله الكذب وجانبهم الصواب حين قلدوا غيرهم من أهل البدع والضلال وتركوا مذهب الأشعري شيخهم وإمام مذهبهم، وحين قبلوا على أنفسهم أن يحرفوا آي القرآن وأحاديث النبي الصحيحة، ويعصفوا بكل ما ذكرنا من تواتر وإجماع صريح لأئمة أهل السنة، ويضربوا بكل هذا عرض الحائط.

فقد أداهم ذلك لأن يقرروا ما قرره أهل الزيغ من أن نصوص (النزول، والمجيء، والإتيان)، وما شابه، مما يوهم الجسمية والحركة والانتقال، ولا ندري كيف غاب عنهم أن "ما نشاهده من النزول الذي هو من أعلى إلى أسفل، وانتقال من فوق إلى تحت، هو صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه" على حد قول الخطابي رحمه الله؟!

بل كيف أوجبوا صرف صفاته تعالى الفعلية هذه عن ظاهرها بدعوى أنه "لا يمكن أن يكون (المجيء والنزول)، هذا الذي نعرفه، وأن الكلام فيه حذف والأصل: (وجاء عذاب ربك) أو (أمر ربك الشامل للعذاب)، وأن المراد بالنزول: (ينزل مَلَكُ ربنا فيقول كذا وكذا)" على حد ما جاء في شرح البيجوري على الجوهرة ص١٠٢، وتوضيح التوحيد من تحفة المريد على الجوهرة لحسين محمد المصري ٢/ ٢٠، أو يكون المراد بـ "المجيء: (مجيء أمره)، وبالإتيان: (إتيان رسول رحمته أو عذابه)، وبالنزول: (نزول ملك ربنا ليقول عن الله)" على حد ما جاء في عبارة حسن السيد متولي في شرحه لجوهرة التوحيد ص١٤، وهي كتب يتربى عليها أولادنا بالأزهر الشريف؟!

ومَن هذا الذي أثبت لله تعالى مجيئاً ونزولاً كالذي نعرفه حتى يوهم الجسمية؟، أو يفوض معاني هذه الصفات وهي بعدُ معلومة غير مجهولة؟؛ أو يتأولها بدون ما بينة تؤيد قوله، أو حجة تبرر معتقده، أو برهان يعضد مذهبه، أو دليل يُصَدِّق معقوله؟!.

ولعل ما ذكرنا وما سيجيء من المزيد من نصوص أئمة السلف، كفيل وكاف -بمشيئة الله- لنفي هذه المزاعم، ولبيان طريقة ومنهج الصحابة وتابعيهم بإحسان بصورة أكثر وضوحاً. ليهلك بعدُ من هلك عن بينة وليحيا من حي عن بينة.. وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.





الأخوَّة صفةٌ نادرةٌ ولزماننا مغادرة

عقد الأخوَّة الصحيح لا ينقطع على طول الزمان الفسيح (٥)


إعداد
د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله، ويستمطر من عطاياه غيث نواله، ويستدرُّ من عطاياه وأفضاله، والصَّلاة والتَّسليم الأتمان الأكملان على سيدنا مُحمَّد وآله.

أمَّا بعد، فما يزال الحديث متصلاً عن الأخوة وعوامل بقائها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

رابعًا: النصح:

وهو ركن ركين وأصل أصيل من أصول الأخوة جملتُه أن تنصح أخاك وتكون دالًّا له على ما ينفعه في دينه ودنياه، ومن تصفح أبواب فضائل الأخوة وعدد أركان العقد الأخوي الصحيح عرف منزلةَ النَّصيحة في النَّفع، وتبيَّن موقعَها من إصلاح صرْح الأخوَّة وإزالة النَّقع، وعلم أنها -النصيحة- أحقُّ بالتَّقديم، وأسبقُ في استحقاق التَّعظيم.

وهذا صحيحٌ إذ لا شرفَ إلا وهي السبيلُ إليه، ولا خيرَ إلا وهي الدليل عليه، ولا منقبةَ إلا وهي الداعية إليها، ولا مفخرة إلا وهي الحاملة والدالة عليها، فهي مفتاحُ الحسنات ومصباحُ المحامد، قال الشافعي: آلاتُ الرِّيَاسَة خَمْسٌ: صِدْقُ اللَّهْجَة، وَكِتْمَانُ السِّرِّ، وَالوَفَاءُ بِالعَهْد، وَابْتِدَاءُ النَّصِيْحَة، وَأَدَاءُ الأَمَانَة. (السير١٠/٤٢).

واعلم أنَّ مكمنَ النَّصيحة وسرَّها، ولُبَّها وجوهرَها هو الغضب لله والغيرةُ على حُرماته وحُبُّ الخير للمسلمين والحيطةُ لدين الله وصدقُ الانتماء له، فإذا اجتمعت هذه المعاني عند النصيحة أثمرتْ وآتتْ أكلها، واستطاع العبد أن يتحمل في سبيل ذلك المشاق، فاتخذ ذلك ذخيرةً عند الاتفاق، وعُدَّةً لدى الوفاق، ففُتحَ ما كان مُقْفَلًا، وفُصِّل ما كان مُجْمَلًا، وشُفيتْ نفسُهُ العليلة، وشُحذتْ همَّتُهُ الكليلة، واتَّخذ النَّصيحة عَملًا جليلًا، وجعل منها صاحبًا وخليلًا، وأقبل عليها بعد ما كنتَ عنه صادفًا، وثاب إليها بعد ما كنتَ لها مجانفًا.

قال ابن القيم: القلبُ كلما كانت حياتُه أتمّ كان غضبُه لله ورسوله أقوى وانتصارُه للدين أكمل.اهـ.

ولهذا تجد الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر في زيادة إيمان وصلاح حال مع الله فييسر لهم طريق العبادة ويبارك لهم في أعمارهم وأعمالهم فالحق بهم قبل الفوات.

فالنصيحة إذن حياة القلب وبدونها يذوي ويضعف فيجف الإيمان فيه بعد غزارته، وييبس بعد نضارته، ويذبل عُوده بعد رطوبته، ويبشع مذاقه بعد عذوبته.

قيمة النصيحة وأثرها في الناس:

النصيحة خلق عظمه النبيّ صلى الله عليه وسلم ورفع شأنها حين حصر الدين فيها فقال صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (رواه مسلم عن تميم بن أوس الداريّ رضي الله عنه).

وهَذَا الْحَدِيثُ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ عَلَيْهَا الْفِقْهُ، قَالَ الإمام أبو داود "صاحب السنن": الْفِقْهُ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَحَادِيثَ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ»، وَقَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»، وَقَوْلُه «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، وَقَوْلُه «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، وَقَوْلُه: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ»، «وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ». (جامع العلوم والحكم: ١/ ٦٣).

وكلامنا في هذا الحديث عن نصيحة عامة المسلمين من الأقارب والأرحام والأصحاب والأخدان والخلان وغيرهم من المسلمين إذ النصيحة لا تكون لغيرهم.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ نُصْحُ الذِّمِّيِّ، وَعَلَيْهِ نُصْحُ الْمُسْلِمِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالنُّصْحُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَأَنْ يَنْصَحَ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». (جامع العلوم والحكم: ١/ ٢٢٥).

وكلمة النصيحة كلمة جامعة لئن أوجز لفظها فلقد أشبع منها المعنى وأطيل المغزى، فهي تملؤك روعة، وتحضرك بها الهيبة، وتحيط بالنفس هالتها، لما فيها من مزية ظاهرة، وفضيلة قاهرة، ولا يشعرُ بذلك إلا جدّ في الأخذ بها واجتهد.

قال ابن حجر: قَوْلُهُ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" يُحْتَمَلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ أَيْ مُعْظَمُ الدِّينِ النَّصِيحَةُ كَمَا قِيلَ فِي حَدِيثِ" الْحَجُّ عَرَفَةُ" وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهِ لِأَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ عَامِلُهُ الْإِخْلَاصَ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ، وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: النَّصِيحَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ نَصَحْتُ الْعَسَلَ إِذَا صَفَّيْتُهُ يُقَالُ: نَصَحَ الشَّيْءَ إِذَا خَلَصَ، وَنَصَحَ لَهُ الْقَوْلَ إِذَا أَخْلَصَهُ لَهُ أَوْ مُشْتَقَّةٌ من النصح وَهِيَ الْخِيَاطَةُ المنصحة وَهِيَ الْإِبْرَةُ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَلُمُّ شَعَثَ أَخِيهِ بِالنُّصْحِ كَمَا تَلُمُّ الْمِنْصَحَةُ وَمِنْهُ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ كَأَنَّ الذَّنْبَ يُمَزِّقُ الدِّينَ وَالتَّوْبَةُ تَخِيطُهُ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: "النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحَظِّ للمنصوح لَهُ وَهِيَ مِنْ وَجِيزِ الْكَلَامِ بَلْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ تُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ".

وقَالَ ابن حجر: "وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا إِنَّهَا أَحَدُ أَرْبَاعِ الدِّينِ وَمِمَّنْ عَدَّهُ فِيهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: بَلْ هُوَ وَحْدَهُ مُحَصِّلٌ لِغَرَضِ الدِّينِ كُلِّهِ لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرَهَا".اهـ (فتح الباري ١/ ٥٧).

وللإمام الذهبي تعليق ذهبيّ على حديث "الدين النصيحة" قال فيه: "فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الكَلِمَةَ الجَامِعَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُ: (الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ)، فَمَنْ لَمْ يَنْصَحْ للهِ وَللأَئِمَّةِ وَللعَامَّةِ، كَانَ نَاقِصَ الدِّيْنِ.

وَأَنْتَ لَوْ دُعِيتَ- يَا نَاقِصَ الدِّيْنِ- لَغَضِبْتَ، فَقُل لِي: مَتَى نَصَحْتَ لِهَؤُلاَءِ؟ كَلاَّ وَاللهِ، بَلْ لَيْتَكَ تَسْكُتُ، وَلاَ تَنْطِقُ، أَوْ لاَ تُحَسِّنُ لإِمَامِكَ البَاطِلَ، وَتُجَرِّئُهُ عَلَى الظُّلمِ وَتَغُشُّهُ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَقَطتَ مِنْ عَيْنِهِ، وَمِنْ أَعْيُنِ المُؤْمِنِيْنَ، فَبِاللهِ قُلْ لِي: مَتَى يُفْلِحُ مَنْ كَانَ يَسُرُّهُ مَا يَضُرُّهُ؟ وَمَتَى يُفْلِحُ مَنْ لَمْ يُرَاقِبْ مَوْلاَهُ؟

وَمَتَى يُفْلِحُ مَنْ دَنَا رَحِيْلُهُ، وَانْقَرَضَ جِيْلُهُ، وَسَاءَ فِعْلُهُ وَقِيْلُهُ؟

فَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا نَرْجُو صَلاَحَ أَهْلِ الزَّمَانِ، لَكِنْ لاَ نَدَعُ الدُّعَاءَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَلْطُفَ،

وَأَنْ يُصْلحَنَا، آمِيْن.اهـ (السير:١١/ ٥٠٠).

كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يبايع أصحابه عند إسلام أحدهم على النصيحة للمسلمين وهذا مما يزيد في الصلة ويشد الآصرة ويقوي اللحمة؛ فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ" (راه البخاري ٥٧، ومسلم ٥٦).

وإنما أشار النبي إلى قدر النصيحة وقيمتها فهي تشفي ما في الصدر من السؤال وترد عنه الغي والضلال، فهي طب ودائع الصدور لا سيما إذا خرجت بإخلاص وجودة بيان وإقامة الحجة والبرهان، ثم إنها مع حسن القصد دليل على امتلاء الصدر بالخير تجاه المسلمين وأمارة على عمارة القلب بتقوى عالم الغيب وآية تدل على استيلاء حب الخير للغير وهذه كلها تأتي من وراء أكمة الإيمان وحب البرّ والإحسان.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: "الْحُبُّ أَفْضَلُ مِنَ الْخَوْفِ، أَلَا تَرَى إِذَا كَانَ لَكَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا يُحِبُّكَ، وَالْآخَرُ يَخَافُكَ، فَالَّذِي يُحِبُّكَ مِنْهُمَا يَنْصَحُكَ شَاهِدًا كُنْتَ أَوْ غَائِبًا لِحُبِّهِ إِيَّاكَ، وَالَّذِي يَخَافُكَ عَسَى أَنْ يَنْصَحَكَ إِذَا شَهِدْتَ لِمَا يَخَافُ وَيَغُشُّكَ إِذَا غِبْتَ وَلَا يَنْصَحُكَ" (جامع العلوم ١/ ٢١٩).

وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ: "النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَتَضَمَّنُ قِيَامَ النَّاصِحِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ بِوُجُوهِ الْخَيْرِ إِرَادَةً وَفِعْلًا.

وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ: إِرْشَادُهُمْ إِلَى مَصَالِحِهِمْ، وَتَعْلِيمُهُمْ أُمُورَ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَسَتْرُ عَوْرَاتِهِمْ، وَسَدُّ خَلَّاتِهِمْ، وَنُصْرَتُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَالذَّبُّ عَنْهُمْ، وَمُجَانَبَةُ الْغِشِّ، وَالْحَسَدُ لَهُمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ، وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ". (جامع العلوم: ١/ ٢٢٣).

وزاد ابن رجب فقال: "وَمِنْ أَنْوَاعِ نُصْحِهِمْ بِدَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ عَنْهُمْ إِيثَارُ فَقِيرِهِمْ وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَرَدُّ مَنْ زَاغَ مِنْهُمْ عَنِ الْحَقِّ فِي قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ بِالتَّلَطُّفِ فِي رَدِّهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالرِّفْقُ بِهِمْ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَحَبَّةً لِإِزَالَةِ فَسَادِهِمْ وَلَوْ بِحُصُولِ ضَرَرٍ لَهُ فِي دُنْيَاهُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: وَدِدْتُ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللَّهَ وَإِنَّ لَحْمِي قُرِضَ بِالْمَقَارِيضِ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي عَمِلْتُ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَعَمِلْتُمْ بِهِ، فَكُلَّمَا عَمِلْتُ فِيكُمْ بِسُنَّةٍ، وَقَعَ مِنِّي عُضْوٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرَ شَيْءٍ مِنْهَا خُرُوجُ نَفْسِي". (جامع العلوم:١/ ٢٢٣).

وقال ابن رجب: "وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، وَيُشْفِقَ عَلَيْهِمْ، وَيَرْحَمَ صَغِيرَهُمْ، وَيُوَقِّرَ كَبِيرَهُمْ، وَيَحْزَنَ لِحُزْنِهِمْ، وَيَفْرَحَ لِفَرَحِهِمْ، وَإِنْ ضَرَّهُ ذَلِكَ فِي دُنْيَاهُ كَرُخْصِ أَسْعَارِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ فَوَاتُ رِبْحِ مَا يَبِيعُ مِنْ تِجَارَتِهِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَضُرُّهُمْ عَامَّةً، وَيُحِبُّ صَلَاحَهُمْ وَأُلْفَتَهُمْ وَدَوَامَ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ، وَنَصْرَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَدَفْعَ كُلِّ أَذًى وَمَكْرُوهٍ عَنْهُمْ".اهـ (جامع العلوم ١/ ٢٢٢).

إن النصيحة للمسلمين من أحب الأعمال إلى الله تعالى فبها بلغ الأئمة منزلة الإمامة في الدين.

قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الْمُزَنِيِّ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ. وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: مَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا أَدْرَكَ عِنْدَنَا بِسَخَاءِ الْأَنْفُسِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَالنُّصْحِ لِلْأُمَّةِ. (جامع العلوم والحكم:١/ ٢٢٥).

أمّا تركها فلا يكون إلا لبذور نفاق في القلب غالبًا ولا ينكر ذلك إلا من فقد حسّه وغالط نفسه.

ومثل هذا إذا قال قولًا أو نصح نصحًا فما سدّى وما لَحم، ولا قاربَ ولا اقْتَحم؛ لأنه يغرُّ صاحبَه بالثناء الكاذب، ويخدعه بالإطراء المتجوز، وقد يجادل بالباطل، ويموّه على إخوانه، وقد يخلط الغثّ بالسمين والدُّرَّ بالخرز المَهين؛ فلا يسدَّد في مَعْنًى، ولا يُوفَّق في مَغْنًى.

والحمد لله رب العالمين



الحوار في الإسلام.. آداب وفنون

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة التضامن الفرنسية العربية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن واله، وبعدُ:

فما يزال حديثنا موصولاً عن الحوار في الإسلام، واليك بعض آداب الحوار الصحيح، بإيجاز:

أولا: حسن المقصد:

فليس المقصود من الحوار العلو في الأرض، ولا الفساد، ولا الانتصار للنفس، ولكن المقصود الوصول إلى الحق.

والله تعالى يعلم من قلب المحاور ما إن كان يهدف إلى ذلك أم يهدف إلى الانتصار، ويرغب في تحدث الناس عنه في المجالس أنه أفحم خصمه بالحجة.

ضع في اعتبارك أنه يحتمل أن يكون الخطأ عندك والصواب عند غيرك، فالله تعالى لم يحابك، ويختصك دون بقية خلقه بالعلم، والفهم، والإدراك، والعقل، فإذا كانَ عندك حق، فعند غيركَ حق، وقد يكون عندك حق كثير، وعنده حق قليل، وقد يكون العكس.

ثانيًا: التواضع بالقول والفعل:

ومن آداب الحوار أيضًا: التواضع، وتجنُّب ما يدل على العجب، والغرور، والكبرياء.

فبعض الناس إذا حاور شخصًا أو حادثه أعرض ونأى بجانبه، وازورّ لا يلتفت إلى خصمه، إشارة إلى السخرية وعدم الاكتراث به، وربما ظهر على قسمات وجهه، أو حركات حاجبيه، أو عينيه أو شفتيه ما يدل على السخرية والاستكبار، وربما يزم شفتيه، أو يلوي وجهه، أو يلوي عنقه، أو يشير بطرف عينيه إشارات تعبر عن السخرية والازدراء، فهذا كله من الكبر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم.

فمن التواضع أن تقبل الحق ممن جاء به حتى ولو كان أعدى أعدائك، وتعدّ ذلك ضالتك المنشودة، فأنت باحث عن الحقيقة أنَّى وجدتها فأنت أحق بها.

ومن التواضع -أيضًا- ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالي والكبرياء، وازدراء ما عند الآخرين، كأن يقول: نرى كذا، وعندي، وأنا، وقلت، ونحو هذه الألفاظ. وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره من أهل العلم أن إبليس هو الذي قال: « أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ » (الأعراف: ١٢)، فـ«أنَا» هذه المتعاظمة الرادة للحق هي من إبليس، وقارون هو الذي

قال: « إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ » (القصص: ٧٨)، فالذي يقول: عندي، وهو ليس أهلا لذلك شبيه بقارون، وسائر المستكبرين تعاظموا في نفوسهم فردُّوا الحق.

ثالثًا: الإصغاء وحسن الاستماع:

إن الإصغاء إلى الآخرين فن قلَّ من يجيده، فأكثرنا يجيد الحديث أكثر من الاستماع، والله -سبحانه وتعالى- جعل لك لسانًا واحدًا، وجعل لك أذنين حتى تسمع أكثر مما تتكلم، فلابد أن تستمع جيدًا، وأن تستوعب جيدًا ما يقوله الآخرون.

وانصات أذنك للمحدِّث، وحملقة عينيك بوجهه، وتأملك لما قال، يمكن أن يكون دليلًا على قوتك، وقدرتك على الحوار، وإذا وجدت ملاحظات، فيمكن أن تسجلها في ورقة لتتحدث فيها بعدما ينتهي من حديثه.

رابعًا: الإنصاف:

وهو أن تكون الحقيقة ضالتك المنشودة، تبحث عنها في كل مكان، وفي كل فكر. جرِّد نفسك، ولا تبالِ بالناس رضوا أم سخطوا، وكن باحثًا عن الحقيقة، وليعلم ربك من قلبك أنه ليس في قلبك إلا محبة الله تعالى، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وحب الحق الذي يحبه الله ورسوله. فلتستخلص الحق من خصمك، ولو من بين ركام الباطل الكثير الذي ربما جاء به.

وربما أجرى الله تعالى كلمة الحق على لسان الفاسق، أو حتى على لسان الكافر- أحيانًا- فيمكن أن تستفيد من المحاور ولو كان فاسقًا أو كافرًا، فقد تستفيد منه عيبًا موجودًا عندك أو عند المسلمين، أو تستفيد منه مصلحة دنيوية للمسلمين، أو أسلوبًا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، ربما فطن له هو، وغفلت أنت عنه.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ قُتَيْلَةَ بِنْتِ صَيْفِيٍّ الْجُهَيْنِيَّةِ قَالَتْ: أَتَى حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُشْرِكُونَ! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَقُولُونَ إِذَا حَلَفْتُمْ: وَالْكَعْبَةِ. قَالَتْ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ قَالَ فَمَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَجْعَلُونَ لِلَّهِ نِدًّا. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. قَالَ: فَأَمْهَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ قَالَ فَمَنْ قَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَلْيَفْصِلْ بَيْنَهُمَا ثُمَّ شِئْتَ. (رواه الإمام أحمد).

إن الاعتراف بالحق وإعلانه -أيضًا- لا ينقص من قيمة الإنسان، فكونك تقول في مناظرة، أو محاورة، أو محاضرة: أنا أخطأت في كذا، هذا لا يعيبك؛ بل هذا يرفع منزلتك عند الناس، ويدل على شجاعتك وقوتك، وثقتك بنفسك.

خامسًا: البدء بمواضع الاتفاق والإجماع والمسلَّمات والبدهيات:

فمن المصلحة ألا تبدأ الحوار بقضية مختلف فيها؛ بل ابدأ بموضوع متفق عليه، أو بقاعدة كلية مسلَّمة أو بدهية، وتدرَّج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم إلى مواضع الخلاف.

فممَّا يذكر عن سقراط -وهو أحد حكماء اليونان- أنه كان يبدأ مع خصمه بنقاط الاتفاق بينهما، ويسأله أسئلة لا يملك الخصم أن يجيبه عليها إلا بنعم، ويظل ينقله إلى الجواب تلو الآخر، حتى يرى المناظر أنه أصبح يُقر بفكرة كان يرفضها من قبل. (وتسمى هذه الطريقة طريقة التهكم والتوليد).

سادسًا: ترك التعصب لغير الحق:

فلو حاورت إنسانًا، فتناول معهدًا تعمل فيه، أو مقالة كتبتها، أو كتابًا ألَّفته، أو محاضرة ألقيتها، أو تناول جهة -تحسب أنت عليها- بالانتقاص والسب وتتبع الأخطاء، فإياك أن تتعصب لهذا الشيء الذي تنتمي وتنتسب اليه، ثم تبادر بالرد، وتقوم بتقديم كشف بالإيجابيات والحسنات في مقابل الكشف

الذي قدمه هو بالأخطاء، والسلبيات... لا؛ بل عليك مراعاة الأمور الآتية:

- أولًا: دع زمام الحديث بيده حتى ينتهي-كما اتفقنا قبل قليل-.

- ثانيًا: اعترف بصوابه فيما أصاب فيه، والحق ضالة المؤمن-كما سبق-.

- ثالثًا: إذا انتهى فانقد الخطأ بطريقة علمية، بعيدة عن العواطف.

وما أعز وأصعب وأندر أن يتخلص الإنسان من التعصب-أي لون من ألوان التعصب- فإن الحزبيات قد أثّرت في المسلمين تأثيرًا كبيرًا جدًّا.

سابعًا: احترام الطرف الآخر:

فنحن مأمورون أن نُنزل الناس منازلهم، وألا نبخس الناس أشياءهم، قال تعالى: «وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ » (الأعراف: ٨٥)؛ فيا أخي المسلم الداعية: ليس النجاح في الحوار والمناظرة مرهونًا بإسقاطك لشخصية الطرف الآخر الذي تناظره، ولا إسقاطك لشخصيته يعني أنك نجحت في المناظرة؛ بل ربما يرتد الأمر عليك، ويكون هذا دليلًا على إفلاسك وعجزك، وأنك لا تملك الحجة؛ فاشتغلت بالمتكلم عن الكلام.

والناس اليوم تعي وتعقل، ولو أنك دعمت قولًا من الأقوال الباطلة الزائفة حينًا من الزمن بالتهويش، واللجاج، فإن هذا القول الذي لا يسنده الحق سرعان ما ينهار ويتهاوى بمجرد غفلة السَّاعين به، أو انشغالهم عنه بغيره، فيموت وينساه الناس.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بالطعَّان، ولا اللعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء»؛ فالمؤمن ليس باللعان، ولا بالطعان في الناس وأعراضهم، ونياتهم، ومقاصدهم، وأحوالهم، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء. اللهم صلِّ على سيدنا محمد.

ثامنًا: الموضوعية:

الموضوعية تعني: رعاية الموضوع، وعدم الخروج عنه.

- فمن الموضوعية: عدم الهروب من الموضوع الأساسي إلى غيره. إن بعض الناس إذا أحرجته في موضوع هرب منه إلى موضوع آخر، فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع، وكلما أحرج في نقطة انسحب منها إلى غيرها، ونقل الحديث نقلة بعيدة أو قريبة.

ولعل هذا أعظم أدواء المناظرة، التي تجعل الإنسان يخرج منها-ربما بعد ساعات- دون طائل، والموضوع يقتضي ألا تخرج من نقطة إلا إذا انتهيت منها، ثم تنتقل إلى غيرها.

تاسعًا: عدم الإلزام بما لا يلزم أو المؤاخذة باللازم:

فإذا خالف إنسان أحد العلماء في قول، تأتي فتقول له: يا أخي، أنت خالفت فلانًا العالم، وهذا يلزم منه أنك ترى نفسك أعلم منه.

وهذا غير صحيح، فلا يلزم من قوله وخلافه للعالم الفلاني ذلك، فقد يخالفه في هذه المسألة باجتهاده، وهو يعرف أن هذا العالم أعلم منه في كل المسائل، لكن هذه المسألة لا يسعه أن يقلده فيها، كما لا يلزم من مخالفته له أن يخطِّئه أو يضلِّله.

عاشرًا: اعتدال الصوت:

لا تبالغ في رفع الصوت أثناء الحوار، فليس من قوة الحجة المبالغة في رفع الصوت في النقاش والحوار؛ بل كلَّما كان الإنسان أهدأ كان أعمق؛ ولهذا تجد ضجيج البحر وصخبه على الشاطئ، حيث الصخور والمياه الضحلة، وحيث لا جواهر ولا درر، فإذا تعمقت إلى عمق البحر ولُجِّته وجدت الهدوء، حيث الماء العميق ونفائس البحر وكنوزه؛ لذلك يقول المثل الغربي: «الماء العميق أهدأ».

نعم يا أيها القارئ الكريم فإن العربة الفارغة أكثر جلبة من العربة المليئة.

فهذه نصيحتي لك في هذا.

هذا وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

ضرب المشركين المثَل بالنبي صلى الله عليه وسلم

إعداد: مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فهذا مثل من الأمثال القرآنية، وهو في قوله تعالى: «انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» (الإسراء:٤٨)، والآية متعلقة بالآيات قبلها، وسنذكر ذلك فيما يلي:

المعنى الإجمالي

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه «بدائع الفوائد» (٧٤٤/٢): في قوله تعالى: «انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» (الإسراء:٤٨)، الخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم أي: «مثلوك بالشاعر مرة، والساحر أخرى، والمجنون مرة، والمسحور أخرى، فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في تيهه وتحيره طريقًا يسلكه فلا يقدر عليه، فإن أي طريق أخذها فهي طريق ضلال وحيرة أعداء رسول الله معه، حتى ضربوا له أمثالاً برأه الله منها، وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان». اهـ. بتصرف.

المعنى التفصيلي

تعددت ألوان الأذى من الكفرة أهل مكة التي ارتكبوها في حق النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تقتصر مؤذياتهم على شخصه وصدّ الناس عن دعوته، وإنما كانوا يؤذونه في أخص أحواله الشخصية، في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد الحرام، ولكن الله تعالى حماه من كيدهم وإضرارهم، وأنقذه في أحيان كثيرة من إصابته بسوء، أو النجاح في ثنيه عن رسالته وتبليغ وحي ربه، ولننظر إلى آي القرآن تحدثنا عن بعض هذه المؤذيات.

قال الله تعالى: «وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٤٧) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» (الإسراء:٤٥-٤٨).

والخطاب في قوله تعالى: « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا » (الإسراء:٤٥) للرسول صلى الله عليه وسلم.

وهو عطف جملة على جملة وقصة على قصة، فإنه لما نوّه بالقرآن في قوله: « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » (الإسراء:٩)، ثم أعقب بما اقتضاه السياق من الإشارة إلى ما جاء به القرآن من أصول العقيدة وجوامع الأعمال، وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر؛ عاد هنا إلى التنبيه على عدم انتفاع المشركين بهدي القرآن؛ لمناسبة الإخبار عن عدم فقههم دلالة الكائنات على تنزيه الله تعالى عن النقائص، وتنبيهًا للمشركين على وجوب إقلاعهم عن عبثهم وعنادهم، وتأمينًا للنبي صلى الله عليه وسلم- عن مكرهم به وإضمارهم إضراره، وقد كانت قراءته القرآن تغيظهم وتثير في نفوسهم الانتقام وحقيقة الحجاب: الساتر الذي يحجب البصر عن رؤية ما وراءه، وهو هنا مستعار للصرفة التي يصرف الله بها أعداء النبي عليه الصلاة والسلام عن الإضرار به والإعراض الذي يعرضون به عن استماع القرآن وفهمه.

وجعل الله الحجاب المذكور إيجاد ذلك الصارف في نفوسهم بحيث يهمّون ولا يفعلون وذلك من فور الإرادة والعزيمة بحيث يخطر الخاطر في نفوسهم ثم لا يصممون، وتخطر معاني القرآن في أسماعهم ثم لا يتفهمون، وذلك خلق يسري إلى النفوس تدريجيًا تغرسه في النفوس بادئ الأمر شهوة الإعراض وكراهية المسموع منه ثم لا يلبث أن يصير مَلَكة في النفس لا تقدر على خلعه ولا تغييره ووصف الحجاب بالمستور مبالغة في حقيقة جنسه، أي حجابًا بالغًا الغاية في حجب ما يحجبه هو حتى كأنه مستور بساتر آخر، فذلك في قوة أن يقال: جعلنا حجابًا فوق حجاب ونظيره قوله تعالى: « وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا » (الفرقان:٢٢) أي: مانعًا ممنوعًا مستورًا، أو أريد أنه حجاب من غير جنس الحجب المعروفة فهو حجاب لا تراه الأعين ولكنها ترى آثار أمثاله. (انظر: التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي ١٣٥٢/٢).

وقوله تعالى: « وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا » (الأنعام:٢٥) أي: وجعلنا على قلوبهم أغطية، بحيث لا يتسرب إليها فهم مدارك القرآن ومعرفة أسراره وغاياته، وجعلنا في آذانهم ثقلاً، أو صممًا يمنع من سماع الصوت، وهذه كلها استعارات للإضلال الذي حقّهم الله به، فعبَّر عن كثرة ذلك وعظمه بأنهم بمثابة من غُطي قلبه، وصُمّت أذانه، والإضلال الذي سلكوه، وساروا في فلكه بغيًا وعنادًا.

وقوله تعالى: « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا » (الإسراء:٤٦). بيان لرذيلة أخرى من رذائلهم المتعددة. أي: وإذا ذكرت أيها الرسول الكريم- ربك في القرآن وحده، دون أن تذكر معه آلهتهم المزعومة انفضوا من حولك، ورجعوا على أعقابهم نافرين شاردين، « كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ » (المدثر:٥٠- ٥١).

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين قد صوّرتا قبائح المشركين المتنوعة أبلغ تصوير لتزيد في فضيحتهم وجهلهم، ولتجعل المؤمنين يزدادون إيمانًا على إيمانهم. (التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي ١٣٥٣/٢، والتفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي ١٢٣/١٤ بتصرف).

وقوله تعالى: « نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا » (الإسراء:٤٧) أي: بالحال الذي «يَسْتَمِعُونَ» القرآن «به» الباء للسببية أو بمعنى اللام وعبارة الكواشي (بما يستمعون به هازئين).

وقال الزمخشري: يستمعون بالهزء (إذ يستمعون إليك) ظرف لأعلم وفيه تأكيد للوعيد.

«وإذ هم نجوى» أي: ونحن أعلم بما يتناجون به فيما بينهم وقت تناجيهم وقد كانوا يتناجون بينهم بالتكذيب والاستهزاء، «إذ يقول الظالمون» أي: الوليد بن المغيرة وأصحابه.

«إن تتبعون» أي: يقول كل منهم الآخرين عن تناجيهم ما تتبعون «إلا رجلاً مسحورًا» أي: سحر به فاختلط عقله وزال عن حد الاعتدال. (فتح البيان صديق حسن القنوجي ج٤).

قول الله تعالى: « انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا » (الإسراء:٤٨) جملة مستأنفة

استئنافًا ابتدائيًا ونظائرها كثيرة في القرآن والتعبير بفعل النظر إشارة إلى أنه بلغ من الوضوح أن يكون منظورًا، والاستفهام بـ«كيف» للتعجب من حالة تمثيلهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وأصل «ضرب» وضع الشيء وتثبيته، يقال: ضرب خيمة، ويُطلق على صوغ الشيء على حجم مخصوص، يقال: ضرب دنانير، وهو هنا مستعار للإبراز والبيان تشبيهًا للشيء المبرز المبين بالشيء المثبت، واللام في «لك» للتعليل والأجل، أي: ضربوا الأمثال لأجلك أي: لأجل تمثيلك، أي: مثلوك. يقال: ضربت لك مثلاً بكذا.

وأصله مثلتك بكذا، أي أجد كذا مثلاً لك، قال الله تعالى: «فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ» (النحل:٧٤)، وقال: «وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ» (يس:١٣) أي: اجعلهم مثلاً لحالهم، وجمع «الأمثال» هنا، وإن كان المحكي عنهم أنهم مثلوه بالمسحور، وهو مثل واحد؛ لأن المقصود التعجب من هذا المثل ومن غيره فيما يصدر عنهم من يقولهم: هو شاعر، هو كاذب، هو مجنون، هو ساحر، هو مسحور، وسميت أمثالاً باعتبار حالهم لأنهم تحيروا فيما يصفونه به الناس لئلا يعتقدوه نبيًا، فجعلوا يتطلبون أشبه الأحوال بحاله في خيالهم فيلحقونه به، كمن يدرج فردًا غريبًا في أشبه الأجناس به، كمن يقول في الزرافة: إنها الأفراس أو من الإبل أو من البقرة.

وفرّع ضلالهم على ضرب أمثالهم؛ لأن ما ضربوه من الأمثال كله باطل وضلال وقوة في الكفر، فالمراد تفريع ضلالهم الخاص ببطلان تلك الأمثال، أي فظهر ضلالهم في ذلك، كقوله: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» (القمر:٩)، ويجوز أن يراد بالضلال هنا أصل معناه، وهو الحيرة في الطريق وعدم الاهتداء، أي ضربوا لك أشباهًا كثيرة لأنهم تحيروا فيما يعتذرون به عن شأنك العظيم، وتفريع «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» (الإسراء:٤٨) على «فضلوا» تفريع لتوغلهم في الحيرة على ضلالهم في ضرب تلك الأمثال.

والسبيل: الطريق، واستطاعته استطاعة الظفر به، فيجوز أن يراد بالسبيل سبيل الهدى على الوجه الأول في تفسير الضلال، ويجوز أن يكون تمثيلاً لحال ضلالهم بحال الذي وقف في صحراء لا يدري من آية جهة يسلك إلى المقصود، على الوجه الثاني في تفسير الضلال.

والمعنى على هذا: أنهم تحيروا كيف يصفون حالك للناس لتوقعهم أن الناس يكذبوهم، فلذلك جعلوا ينتقلون في وصفه من صفة إلى صفة؛ لاستشعارهم أن ما يصفونه به باطل لا يطابقه الواقع. (التحرير والتنوير ١٢١/٧).

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤٩٠/٥): ضرب المثل له على قولهم: مسحور ساحر، مجنون، متكهن؛ لأنه لم يكن عندهم متيقنًا بأحد من هذه، فإنما كانت منهم على جهة التشبيه، ثم رأى الوليد بن المغيرة أن أقرب الأمور على تخيُّل الطارئين عليهم هو أنه ساحر، ثم حكم الله تبارك وتعالى عليهم بالضلال.

وقوله تعالى: «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» (الإسراء:٤٨) يحتمل معنيين:

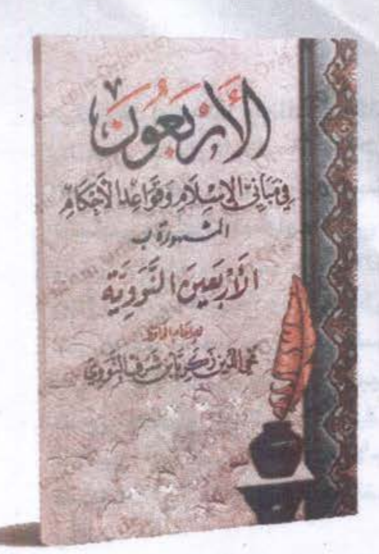
أحدهما: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهدى والنظر المؤدِّي إلى الإيمان، فتجري الآيةُ مجرى قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً» (الإسراء:٤٦)، ونحو هذا.

والآخر: لا يستطيعون سبيلاً إلى إفساد أمرك، وإطفاء نور الله بضربهم الأمثال لك واتباعهم كل حيلة في جهتك.

وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه. اهـ. بتصرف.

وقال صاحب «التفسير الوسيط للقرآن الكريم» الدكتور سيد طنطاوي (١٢٥/١٤): قوله تعالى: «انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا» (الإسراء:٤٨): «تسلية عظيمة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كيف أن هؤلاء المشركين قد بلغ بهم الجحود والفجور أنهم مثلوا لك الأمثال، فوصفوك تارة بأنك مسحور، وتارة بأنك شاعر، وهم في وصفهم هذا، قد ضلوا عن الحق ضلالاً بعيدًا، وصاروا كالحيران الذي التبست عليه الطرق، فأمسى لا يعرف السبيل الذي لا يسلكه». اهـ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



نظرات في كتاب:

الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٣١ هـ - ٦٧٦هـ)

الحلقة الثانية

إعداد / محمد عبدالعزيز

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فهذا هو المقال الثاني في كتاب: الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام، المعروف بـ: الأربعون النووية،وقد بقي لنا مما عزمنا على الحديث عنه ثلاثة أشياء، وهي:

الأول: أهم ما انتقده أهل العلم من منهج النووي في كتابه الأربعين، وبيان وجه دفع النقد.

الثاني: أهم شروح كتاب الأربعين.

الثالث: أهم طبعات كتاب: الأربعون في مباني الإسلام، وقواعد الأحكام.

فأقول - وبالله التوفيق، ومنه السداد والرشاد:

أولا: أهم ما انتقده أهل العلم من منهج النووي في كتابه الأربعين، وبيان وجه دفع النقد:

١- زيادته في نص الأحاديث ما ليس منها عند من عزاها لهم، ومثال ذلك:

المثال الأول: الحديث الثاني، حديث ابن عمر فلفظه في كثير من مطبوعات الأربعين: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب...»؛ فزاد فيه لفظة: "جلوس"، والحديث عند مسلم في كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر الحديث رقم: (١)، وليست فيه هذه اللفظة.

ووجه دفع هذا الانتقاد أن هذه اللفظة ليست في النسخ الخطية للكتاب، وإن تتابعت عليها كثير من طبعاته، ولن تجدها في شرحه جامع العلوم والحكم، فانظره (٩٣/١)، وكذلك جاءت في الطبعات المحققة على نسخ خطية كطبعة دار المنهاج، وطبعة دار الآثار، وطبعة دار الحديث الكتانية.

المثال الثاني: الحديث الرابع، حديث ابن مسعود، ففي طبعات كتاب: الأربعين جاءت هذه اللفظة: « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة».

فزاد فيه لفظة: "نطفة"، والحديث أخرجه البخاري في مواضع من الصحيح، وأرقامها: (٣٢٠٨)، و (٣٣٣٢)، و(٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وليس عندهما هذه اللفظة: نطفة، بل ولا في شيء من مصادر تخريجه الأخرى، فلم ترد سوى عند الشاشي في مسنده (٦٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧٨٠/٢٤٧٤/٨).

٢- نقص ألفاظ من بعض الأحاديث عند من عزاها لهم، ومثال ذلك:

الحديث التاسع والعشرون، حديث معاذ ابن جبل، فقد ذكر ابن حجر الهيتمي أنه انتقص منه لفظة: « قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه».

قال ابن حجر الهيتمي في الفتح المبين (ص

٤٨٦): «سقط منه شطر ثابت في أصل "الترمذي" لا يتم الكلام بدونه، ومع ذلك لم يتنبه له أكثر الشراح، وكأنه انتقل نظره من "سنامه" إلى "سنامه" إذ لفظ الترمذي بعد "سنامه" المذكور: قلت: بلى يا رسول الله، قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد".

وقد وقع له ذلك في "الأذكار" أيضًا، وكأنه قلد فيه الحافظ ابن الصلاح، فإنه لما ذكر الأحاديث التي قيل: إنها أصول الإسلام أو الدين، أو التي عليها مدارهما أو مدار العلم، ذكر من جملتها هذا الحديث بالإسقاط المذكور، لكن عذره أن ابن ماجه ذكره كذلك، فلا اعتراض عليه؛ لأنه لم يلتزم رواية شخص بخصوصها، بخلاف المصنف؛ فإنه هنا إنما ساق لفظ الترمذي كما سيذكره، ولفظه كما عرفت ليس فيه الإسقاط المذكور.

ويقع في بعض نسخ المتن ذكر ذلك الإسقاط، فيحتمل أن المصنف تنبه له بعد فألحقه، ويحتمل أنه من فعل بعض تلامذته أو غيرهم».

وهذه اللفظة التي ذكر ابن حجر الهيتمي أنها ساقطة من الأربعين هي في جمهور طبعات الأربعين التي بين أيدي الناس الآن.

٣- إخراج الحديث من طريق غيرها أولى منها، ومثال ذلك:

الحديث الثاني، فقد تفرد مسلم بإخراجه في صحيحه، من حديث ابن عمر، وأخرجه البخاري (٥٠)، و(٤٧٧٧) ومسلم (٩)، و(١٠) في صحيحيهما عن أبي هريرة، ولا شك أن إخراج المتفق عليه أولى، وهو أوفى لشرطه.

ووجه دفع الانتقاد أن ابن الصلاح هو الذي اختاره هكذا، فأبقاه النووي على ما انتقاه ابن الصلاح، ووجه دفع الانتقاد عن ابن الصلاح أن رواية ابن عمر أتم، فاختارها.

٤- أنه اشترط على نفسه الصحة في انتقائه لأحاديث الأربعين، مع أن فيها ستة أحاديث منتقدة عليه كما سبق، ووجه دفع الانتقاد عنه أنها عنده هكذا صحيحة.

٥- أنه ذكر تحت الحديث السابع والعشرين حديثين وهما: حديث النواس بن سمعان، وحديث وابصة بن معبد، وعدهما حديثًا واحدًا، ووجه دفع الانتقاد عنه أنهما في موضوع واحد، وهو تعريف البر والإثم.

ثانيا: أهم شروح كتاب: الأربعون:

حظي كتاب الأربعين بشروح كثيرة، لم يحظ كثير من الكتب بمثلها، فقد ذكر له عبد الله الحبشي في كتابه: جامع الشروح والحواشي (١/١١٥- ١٣٠) ستة وثلاثين ومائة (١٣٦) شرح، خلا الحواشي التي على هذه الشروح، وذكر له ستة كتب قامت على تخريجه.

وذكر عبد العزيز بن إبراهيم بن القاسم شروح الأربعين في كتابه: الدليل إلى المتون العلمية (ص ٢٥٠- ٢٥٩) فذكر ثلاثين شرحًا مطبوعًا، وخمسة شروح مخطوطة، وبالجملة فهذا الكتاب لاقى قبولاً من يوم تصنيفه إلى يومنا هذا.

ومن أهم شروح: الأربعون في مباني الإسلام وقواعد الأحكام المتداولة بين أيدي طلاب العلم:

١- الشرح المنسوب للإمام النووي على الأربعين، وله طبعات كثيرة، وهذا الشرح المنسوب للنووي، لم ينسبه له أحد ممن ترجم له، وقد نفى أخص تلاميذ الإمام وهو ابن العطار أن يكون للنووي شرحًا على الأربعين، قال ابن العطّار في شرحه على الأربعين- تحقيق: محمد بن ناصر العجمي- (ص ٣٥): «عزمَ على شرحها، وتبيين الحكمة من اختيارها دون غيرها، فلم يُقدَّر له ذلك، واخترمته المنيَّة».

وقد نسب هذا الشرح للنووي في بعض النسخ الخطية منها نسخة خطية كتبت سنة: ١١٥٨هـ، في ٢٢ ورقة.

ومن طبعاته: طبع ضمن مجموعة الحديث النجدية بالمطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة سنة (١٣٧٩هـ) وعليه تعليقات لطيفة للشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى.

الطبعة التي بتحقيق الشيخ محيي الدين الجراح سنة (١٣٩٣هـ) دون ذكر اسم المطبعة.

٢- شرح الأربعين، المنسوب للإمام تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب المصري القشيري الشهير بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، وله طبعات كثيرة، وهذا الشرح له أربع نسخ خطية مختلفة فيما بينها في نسبته لأحد ثلاثة من أهل العلم، وهم: ابن فرح الإشبيلي، والحافظ ابن حجر، وابن دقيق العيد، وبيانها كالتالي:

أ- نسخة مكتبة برلين ٢/ ٢٢٠ (١٤٨٩)، وقد نسبت الشرح لابن حجر.

ب- نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية بالرياض رقم ٢١٧٦، وقد نسبت الشرح لابن حجر.

ج- نسخة مكتبة برلين ٢/ ٢٢٠ (١٤٨٨)،، وقد نسبت الشرح لابن فرح المغربي.

د- نسخة في دار الكتب المصرية (١٠٦/ مجامع تيمور) تاريخ نسخها ١٣٠٦هـ،، وقد نسبت الشرح لابن دقيق العيد.

ويغلب على الظن أن يكون ذلك الشرح مستل من شرح ابن فرح المغربي، وهو مطبوع.

ومن طبعاته: طبعة دار الأرقم بالرياض سنة (١٤١٦هـ).

طبعة مكتبة القاهرة في مصر دون تاريخ بتصحيح الشيخ طه محمد الزيني.

طبعه مؤسسة دار العلوم في بيروت سنة (١٤٠٠هـ).

٣- شرح علاء الدين علي بن داود بن العطار الشافعي المعروف بمختصر النووي (المتوفى: ٧٢٤ هـ).وهو من أوائل شروح الأربعين، وقد طبع بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية- لبنان- بيروت، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤- التعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الحنبلي (المتوفى:٧١٦هـ).

ومن طبعاته: طبعة مؤسسة الريان في بيروت، والمكتبة المكية في مكة المكرمة، سنة ١٤١٩هـ، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان.

٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب (المتوفى: ٧٩٥هـ)، وهو من أجود شروح الأربعين.

ومن طبعاته: طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية سنة:١٤١٢هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس.

٦- الفتح المبين بشرح الأربعين، لأحمد بن حجر الهيتمي المكي (المتوفى:٩٧٤هـ).

ومن طبعاته: طبع في المطبعة الميمنية في مصر سنة (١٣١٧هـ)، وعليه حاشية للشيخ حسن بن علي المدابغي (المتوفى:١١٧٠هـ)، وقد صورته دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٩٨هـ.

ثالثًا: أهم طبعات كتاب: الأربعون في مباني الإسلام وقواعد الأحكام:

١- طبعة مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى سنة: ١٣٤٤ هـ.

٢- طبعة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة:١٣٩٥هـ، ومعها الأحاديث التي زادها الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى.

٣- طبعة مؤسسة الرسالة في بيروت سنة: ١٤٠٢هـ، ضبط ألفاظها وشرح معانيها: محيي الدين مستو.

٤- طبعة دار الرائد العربي في بيروت سنة: ١٤٠٤هـ، باعتناء: عبد العزيز السيروان.

٥- طبعة دار بن كثير، بيروت، الطبعة الأولى سنة: ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط.

٦- طبعة مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت سنة: ١٤١٦هـ.

٧- طبعة دار المنهاج بجدة، عناية: قصي محمد نورس الحلاق، وأنور بن أبي بكر الشيخي سنة: ١٤٣٠هـ، وقد حقق المتن على ثلاث نسخ خطية، وهي من أجود هذه الطبعات.

٨- طبعة دار الحديث الكتانية، طنجة- المغرب بعناية: نظام محمد صالح يعقوبي العباسي الشافعي سنة: ١٤٣٤هـ، وهي مطبوعة على خمس أصول خطية، منها نسخة مسموعة لتلميذ المصنف الحافظ العلاء ابن العطار، وقد صور المحقق في ختام تحقيقه نسخة ابن العطار التي اعتمد عليها في هذه النشرة من أولها لآخرها، وألحقها بآخر عمله.

٩- طبعة دار الآثار، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، بتحقيق: محمد عبد الله باجمَّال، وقد طبِع معه الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي، ووزع الباب الذي عقده النووي بعنوان: الإشارات إلى ضبط الألفاظ المشكلات على كل حديث على حدة، وحقَّق الكتاب على سبع نسخ خطية، على أنه لم يصفها، ووضع لها صورة ضوئية، وقد خرج أحاديث الكتاب.

هذا ما يسره الله تعالى في هذه العجالة.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي



صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير ||

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام ||

WWW.ANSARALSONNA.COM

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني ||

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير ||

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات ||

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

الترف في الترفيه

ومع مرور عام ميلادي آخر كيف انقضت أيامه وساعاته، هل كُتبت للعبد حسناته أم حسراته، هل مضى العمر في اللهو والترفيه، أم كان فعل الخير والاستقامة أكثر ما فيه؟. يدندن الكثيرون على إنشاء هيئات للهو والترفيه، وكأن الناس تعبوا من الكدح والإنتاج والعمل، ثم ضلوا طريق الترفيه؛ فجاء من يقودهم إليه من خلال تلك الهيئات. نعم إذا تزاحمت الأشغال فلا بد للنفوس من راحة تصفو بها الأذهان ويزول به الكلال، لكن بدون ترف وسرف، فإن من أوصاف أصحاب الشمال يوم القيامة :"إنهم كانوا قبل ذلك مترفين، وكانوا يصرون على الحنث العظيم". وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: "إني لأستجمُ ببعض اللهو ليكونَ أنشط لي في الحقّ". فأين الحق الذي تنشده هيئات الترفيه؟؟ وقد أذن النبي عليه السلام بالترويح، لكنه نهى عن أن تكون وسيلته وأداته محرمة، فأذن بالتسابق في الرماية، لكنه نهى عن التنشين على الطير والحيوان، وأذن في المصارعة مع الحشمة في الملابس، لكنه نهى أن تكون المصارعة تحريشًا بين الحيوانات فاحذروا من ترفيه يقود إلي الانحراف والتّيه.

قال بعض الحكماء: خذ من أيام التّرفيه لأيّام الإنزعاج (الموت والبعث)، فإن أغنى الناس يوم الفقر في القيامة من قدّم من الصالحات ذخيرة، وأشدهم اغتباطاً يوم الحسرة؛ من أحسن العلن والسريرة.

التحرير

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر